التلمذة الحقيقية



مكتبة
كنيسة القديسين ... والانبا ...
الرقم العام : ١٧٢٧٨
: ١٠٠٨ / ١
: ١٢/
٨-١١٦



وليم مكدونلد

www.christianlib.com

التلمذة الحقيقية

مكتبة
كنيسة القديسين ارسانيوس والانبا بطرس
الرقم العام : ١٧٢٧٨ / حدو١
الرقم الخاص : ٨-١ / ١
تاريخ الورود : / ١٢-ه

تعريب

طانيوس زخاري

تأليف

وليم مكدونلد

جميع الحقوق محفوظة

١٩٦٤

صدر عن

مركز المطبوعات المسيحية

ص. ب ٥٠٣٩ - بيروت

رقم ٦٤

مقدمة

هذا الكتاب محاولة لبسط بعض المبادىء التي وضعها العهد الجديد للتلمذة. ان بعضنا رأوا، لسنين كثيرة خلت، هذه المبادىء في الكتاب المقدس، واستنتجوا بطريقة ما ان هذه المبادىء بلغت حداً من السمو المتطرف بحيث لا يمكن تطبيقها عملياً في هذا العصر المعقد الذي نعيش فيه، وبالتالي سلموا واستسلموا مجاراة لروح البيئة التي يعيشون فيها.

ثم التقوا بعدد من الشباب المؤمنين الذين صمموا ان يظهروا في حياتهم ان شروط المخلص للتلمذة ليست شروطاً عمليـة سامية فقط بل هي الشروط الوحيدة التي ينتج عنها تبشير العالم.

ونحن جد شاكرين ومدينين لهؤلاء الشباب الذين قدموا امثلة حية لكثير من الحقائق المدونة هنا.

واذ ندون هذه الحقائق نعترف انها ما زالت بعيدة عن اختبارنا الشخصي انما ندونها تعبيراً عما تصبو اليه قلوبنا.

وليم مكدونلد

١

شروط التلمذة

المسيحية الحقة هي تسليم كلي تام للرب يسوع المسيح .

ان المخلص لا يبحث عن رجـال ونساء يعطونه اوقات فراغهم المسائية ، أو عطلة نهاية الاسبوع ، أو سني تقاعدهم ، بل يبحث عن اناس يعطونه المكان الأول في حياتهم. قال هـ. ا. ايڤان هوبكنز «ان المسيح يطلب اليوم كما كان يطلب دائماً، لا جماهير تسير على غير هدى، بل أفراداً أفراداً، من الرجال والنساء، يتبع ولاؤهم من ادراكهم ما يطلبه المسيح ، من اناس مستعدين ان يسيروا في طريق انكار النفس الذي سار هو فيه من قبل » .

وليس إلا التسليم غير المشروط يصلح ان يكون تلبيـة لائقة لذبيحة المسيح على الجلجثة . فمحبته الفائقة العجب، محبته الالهية لا يمكن ان ترضى بأقل من تسليم نفوسنا وحياتنا وكل ما لنا .

لقد طلب الرب يسوع مطاليب شديدة ملحة من الذين ارادهم ان

يكونوا تلاميذه ، وهي مطاليب تغفل وتهمل في عصرنا هذا الذي اتسم بالتنعم والرفاهية. فكم نظرنا الى المسيحية كمهرب من جهنم وضمان للسماء! وشعرنا بعد ذلك ان لنا الحق ان ننعم بأطيب ما تقدمه الحياة. اننا نعلم ان ثمة آياتٍ كثيرة قوية في الكتاب المقدس تتحدث عن التلمذة، ولكننا نجد صعوبة كبرى في التوفيق بينها وبين افكارنا عن المسيحية وما ينبغي ان تكون.

لا نستغرب ان يبذل الجنود حياتهم حباً في الوطن، ولا نستغرب ان يبذل الناس حياتهم لدوافع سياسية . اما انِ تنطوي حياة تابع المسيح على «الدم والعرق والدموع» ففكرة بعيدة عن أذهاننا .

إلا ان كلام المسيح واضح وقاطع وصريح ، لا يترك مجالاً لسوء الفهم أو سوء التأويل ، بشرط ان نقبل معناه الصريح الواضح . وها هي شروط التلمذة كما وضعها بنفسه مخلص العالم .

١ — محبة قصوى للمسيح

«ان كان أحد يأتي اليّ ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده واخوته وأخواته حتى نفسه ايضاً فلا يقدر ان يكون لي تلميذاً» (لوقا ١٤:٢٦) .

هذا لا يعني ان يكون في قلوبنا كراهة او حقد على أقاربنا، بل يعني ان محبتنا للمسيح يجب ان تكون قوية جداً بحيث تبدو كل محبة اخرى بغضة اذا ما قورنت بها. واصعب عبارة في هذا الفصل حقيقة هي قوله «حتى نفسه ايضاً» فإن محبة النفس من أشد العقبات الكؤود في سبيل التلمذة. فما لم نضع حياتنا نفسها له ونسلمها ليده تمام التسليم لا نصير في المكان الذي يريده لنا .

٢ – انكار النفس

«ان اراد احد ان يأتي ورائي فلينكر نفسه ...» (متى ١٦:٢٤) وهذا ليس معناه الامتناع عن بعض الاطعمة أو بعض الملذات أو التخلي عن بعض الممتلكات، بل معناه اخضاع النفس وتسليمها لسيادة المسيح بحيث لا يكون لها حقوق ولا سلطان مطلقاً . ان معناه هو ان تتخلّى النفس وتتنازل عن العرش . وقد عبّر عن ذلك هنري مارتن بقوله « لا تسمح يا رب ان تكون لي ارادة من ذاتي ، ولا ان اعتبر سعادتي الحقيقية متوقفة حتى في اقل درجاتها على شيء يأتيني من الخارج، بل ان اعتبرها متوقفة كلية على طاعتي التامة لمشيئتك».

٣ – حمل الصليب طوعاً واختياراً

«ان اراد احد ان يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ...» (متى ١٦:٢٤) . ان الصليب ليس ضعفاً جسمانياً ، ولا ألماً نفسانياً ، ولا شيئاً مما يصيب البشر عامة، بل هو طريق نختاره بانفسنا طوعاً، طريق يعد في نظر العالم هواناً وعاراً . فان الصليب يمثل العار والاضطهاد والضيق ، الذي صبه العالم على ابن الله ، والذي ما زال يصبه على جميع الذين يختارون ان يقفوا ضد التيار . وفي مقدور أي مؤمن ان يتجنب الصليب اذا اراد ، وذلك بمشابهته العالم ومجاراته في طرقه .

٤ – حياة تنفق في اتباع المسيح

«ان اراد احد ان يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني» (متى ١٦:٢٤) . لكي نفهم هذا علينا ان نسأل انفسنا هذا السؤال :

«ما الذي ميز حياة الرب يسوع ؟» . ان حياة المسيح كانت حياة الطاعة لارادة الله ، حياة في قوة الروح القدس، حياة خدمة مضحية لاجل الآخرين، حياة صبر وطول اناة في مواجهة اشد الآلام وافظع الاساءات. انها حياة غيرة وبذل وضبط نفس ووداعة ولطف وامانة وولاء ، كما تظهر فيها ثمار الروح المذكورة في (غلاطية ٥: ٢٢، ٢٣). فان اردنا ان نكون تلاميذه وان نظهر ثمر حياة التشبه بالمسيح في حياتنا (يوحنا ١٥ : ٨) فعلينا كتلاميذه ان نسلك كما سلك هو .

٥ - محبة قوية لجميع تابعي المسيح

«بهذا يعرف الجميع انكم تلاميذي ان كان لكم حب بعضاً لبعض» (يوحنا ١٣:٣٥). هذه هي المحبة التي تقدر الآخرين اكثر من النفس. المحبة التي تستر كثرة من الخطايا . المحبة التي تتأنى وترفق. المحبة التي لا تتفاخر ولا تنتفخ. المحبة التي لا تطلب ما لنفسها، ولا تحتد ، ولا تظن السوء ، وتحتمل كل شيء ، وتصدق كل شيء ، وترجو كل شيء، وتصبر على كل شيء (١ كورنثوس ١٣: ٤ - ٧) . وبدون هذه المحبة تصبح التلمذة زهداً بارداً ، وتنسكاً طقسياً لا قيمة له .

٦ - ثبات دائم في كلمته

«ان ثبتم فيّ فبالحقيقة تكونون تلاميذي» (يوحنا ٨: ٣١) ، لان التلمذة الحقة تتميز بالاستمرار والدوام. فما أسهل ان نبدأ حسناً، وان تشرق منا ومضات من المجد والبهاء بين آن وآخر ، انما محك الحقيقة هو الثبات الى النهاية . وليس احد يضع يده على المحراث وينظر الى الوراء يصلح لملكوت الله (لوقا ٩:٦٢) . لهذا فان الطاعة المتقطعة

لوصايا الكتاب المقدس ، والاتباع المجزأ لتعاليمه ، لا يكفيان ولا ينفعان . لان المسيح يطلب من كل اتباعه طاعة دائمة ، تتبعه بدون توقف وبدون سؤال ، كما تعبر عن ذلك الترنيمة التي مطلعها :

صممت اني اتبع يسوع اتبع يسوع بلا رجوع

٧ - ترك كل شيء في سبيل اتباعه

«فكذلك كل واحد منكم لا يترك جميع أمواله لا يقدر ان يكون لي تلميذاً» (لوقا ١٤:٣٣). ربما يكون هذا أقل الشروط تطبيقاً بوجه عام . قد يكون هذا الشرط اثقل جميع شروط التلمذة على آذان الناس . وعلماء اللاهوت يستطيعون بمهارتهم ان يعرضوا لك ألف سبب ليبرهنوا على ان هذا العدد لا يعني ما يقوله . أما التلاميذ البسطاء فيقبلونه بتمامه ، عالمين ان الرب يسوع كان يعلم ويعني ما يقول . فما معنى ترك كل شيء ؟ معناه ترك كل ما نملك مادياً ، مما لا يكون ضرورياً جداً لنا ، ليستخدم في نشر الانجيل . ومن يترك الكل لا يصبح متعطلاً متسكعاً في الشوارع ، لكنه يشتغل بجد ليوفر لنفسه وعائلته ضروريات الحياة ولوازمها المعتادة . لكن ما دامت رغبة حياته الملحة امتداد عمل المسيح ، فهو يضع كل شيء يزيد عن حاجاته الضرورية في عمل الرب ، ويترك أمر المستقبل لله . وهو اذ يطلب اولاً ملكوت الله وبره، يؤمن انه لن يعوزه طعام ولا لباس. ولا يستطيع بضميره ووجدانه ان يحتفظ بالمال الذي يزيد عن حاجته، بينما النفوس تهلك لعدم معرفتها بالانجيل . ولا يريد ان يضع حياته في جمع أموالٍ ستقع في قبضة ابليس حينما يرجع المسيح لأجل قديسيه .

وهو يريد ان يطيع وصية الرب التي تأمره بان لا يكنز لنفسه كنوزاً على الارض. وهو في تركه الكل ، يقدم ما لا يمكنه ان يحتفظ به ، وما قد كف عن حبه والتعلق به .

هذه اذاً هي الشروط السبعة للتلمذة المسيحيـة . وهي صريحة وقاطعة . وان الكاتب ليدرك انه وهو يضع هذه المبادىء والشروط يحكم على نفسه انه عبد بطال . لكن هل نخفي حق الله، بسبب عدم امانة شعب الله؟ اليس حقاً ان الرسالة هي دائماً وابداً اعظم من الرسول؟ أليس الصحيح واللائق ان يكون الله صادقاً وكل انسان كاذباً ؟ الا نقول مع قديس من القدماء: «لتكن ارادتك ولو هلكت انا في سبيل ذلك ؟ »

واذ نعترف بفشلنا الماضي لنواجه بشجاعة مطالب المسيح علينا ونسعَ من الآن فصاعداً ان نكون تلاميذ حقيقيين لربنا المجيد !

٢

ترك الكل

«فكذلك كل واحد منكم لا يترك جميع امواله لا يقدر ان يكون لي تلميذاً» (لوقا ١٤:٣٣).

فاذا أراد احد منا ان يكون تلميذاً للرب يسوع عليه ان يترك الكل. فهذه كلمات المخلص واضحة المعنى لا تقبل مواربة ولا تحويراً. ومهما كان اعتراضنا على هذا الطلب «المتطرف» ومهما ثرنا على هذه السياسة «المستحيلة» «غير الحكيمة»، تبقى الحقيقة ناصعة قاطعة، وهي ان كلمة الرب هذه صريحة حتمية وهي تعني ما تقول:

ولنلاحظ بادىء ذي بدء انه يجب علينا ان نجابه هذه الحقائق القوية الهامة:

أ - ان يسوع لم يقدم هذا المطلب الى نخبة مختارة من العمال المسيحيين بل قال «كل واحد منكم ...»

ب -- ولم يقل انه يجب ان نكون راغبين أن نترك الكل بل قال «كل واحد منكم لا يترك ...»

جـ - ولم يقل انه يجب ان نترك جزءاً من اموالنا ، بل قال «كل واحد منكم لا يترك جميع امواله ...»

د -- ولم يقل بنوع من التلمذة المخففة حتى ييسر ذلك للانسان الذي يتمسك بأمواله و كنوزه، بل قال «... لا يقدر ان يكون لي تلميذاً».

وفي الحقيقة يجب ان لا ندهش من هذا المطلب الضروري الملح، كما لو كان هو المطلب الوحيد من نوعه في الكتاب المقدس.

الم يقل يسوع « لا تكنزوا لكم كنوزاً على الارض حيث يفسد السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون ويسرقون . بل اكنزوا لكم كنوزاً في السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون» ؟

أو كما قال وسلي بحق «ان كنز الكنوز في الأرض ممنوع ومحرم صريحاً من مخلصنا كالزنى والقتل» .

الم يقل يسوع ايضاً «بيعوا ما لكم واعطوا صدقة» (لوقا ١٢:٣٣)؟ الم يقل للشاب الغني : «بع كل ما لك ووزع على الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني» (لوقا ١٨:٢٢)؟

فلو لم يكن يعني تماماً ما قاله فماذا كان يعني اذاً ؟

أليس هذا ما فهمه المؤمنون في الكنيسة الاولى حتى اننا نقرأ عنهم «والاملاك والمقتنيات كانوا يبيعونها ويقسمونها بين الجميع كما يكون لكل واحد احتياج» (اعمال ٢:٤٥) ؟ أوليس هذا ما فعله

كثيرون من قديسي الله على مر الاعوام في كل التاريخ فتركوا حرفياً كل شيء وتبعوا يسوع ؟

هكذا فعل انطوني نورس غروفس وزوجته – وهما من طلائع المرسلين الى بغداد بالعراق – اذ اقتنعا انه يجب عليهما ان لا يكنزا كنوزاً على الارض، بل ان يكرسا كل دخلهما الكبير جداً لخدمة الرب.

وهكذا فعل س. ت. ستد اذ صمم ان يقدم كل ما يملك للمسيح، وان يغتنم الفرصة الذهبية التي عرضها المسيح على الشاب الغني ففشل ذلك الشاب في ان ينتهزها . وقد فعل ستد ذلك اطاعة" لما جاء في كلمة الله حرفياً . وبعد ان وزع ألوفاً من الدولارات على عمل الرب ابقى ما يعادل ٩٥٨٨ دولاراً لعروسه وذهب اليها . ولم تكن هي أقل منه استعداداً للتضحية والبذل، فابتدرته بالسؤال قائلة: شارلي! ماذا قال يسوع للشاب الغني ؟

اجاب : قال له «بع كل ما لك» .

قالت : فلنبدأ اذاً بتنفيذ وصايا الرب من وقت زفافنا وقدما مالهما للارساليات المسيحية .

هذا هو روح التكريس الذي ملأ أيضاً قلب جم اليوت فكتب في مذكرته يقول : يا أبي اجعلني ضعيفاً بحيث لا استطيع ان أمسك بيدي" أي شيء زمني، واجعلني يا رب لا اتمسك بشدة في قبضة يدي" لا بحياتي ولا بصيتي ولا بممتلكاتي . يا أبي اجعلني افقد حبي لكل عزيز محبوب سواك. كم مرة ارخيت قبضة يدي لا لشيء سوى لأحتفظ بما حسبته رغبة لا ضرر فيها . وافتح يا رب يدي" عوضاً عن ذلك

لأقبل مسمار الجلجثـة كما فتحت يدا المسيح ، حتى اذا تركت الكل استطيع ان أنجو من كل ما يربطني ويقيدني . وكما ان ابنك لم يحسب السماء ولا المعادلة لله شيئاً يمكن التمسك به دعني انا ايضاً يا رب ان احل من كل ما يربطني للتمسك به .

ان قلوبنا الجاحدة تحدثنا ان من المستحيل ان نأخذ كلمات الرب حرفياً، وتوحي الينا اننا لو تركنا الكل نموت جوعاً، وتحضنا على ان نذخر لمستقبلنا ومستقبل اولادنا واعزائنا، وتجربنا ان نتساءل لو ترك كل مسيحي كل شيء فمن اذا ينفق على عمل الرب؟ وان لم يكن بعض المسيحيين أثرياء فكيف يتسنى للانجيل أن يصل الى الطبقات العليا من الناس ؟ ويظل البحث والجدل ينساب بلا نهاية في سرعة متناهية، وكل ذلك لاثبات ان الرب يسوع لم يكن يعني ما قاله .

انما الحقيقة الناصعة هي أن الطاعـة لوصية الرب هي احكم شيء معقول للحيـاة التي يمكن ان تفوز باعظم قسط من الفرح . ويشهـد الكتاب المقدس – كما يشهد الاختبـار – انه لا يوجد شخص واحد بذل وضحى لاجل المسيح واحتاج لشيء ما في النهاية . فان الانسان عندما يطيع الله يعتني الله به ويهتم بامره .

لا شك ان من يترك الكـل ويتبع المسيح لن يصبح مسكينـاً يتضور جوعاً ويتسكع في الشوارع منتظراً ان يعوله اخوته المسيحيون.

١ – هو مجتهد نشيط يعمل بجد وهمة لسد مطاليب احتياجاتـه واحتياجات اسرته .

٢ – وهو مقتصد معتدل ، يعيش على مبـادىء اقتصادية معتدلة

ما امكن بحيث يعطي كل ما يزيد عن حاجته الضرورية لعمل الرب.

٣ – وهو بعيد النظر فلا يجمع ثروة على الارض بل يكنز كنوزاً في السماء.

٤ – وهو يثق في الرب من جهة المستقبل. فبدلاً من ان يجمع ويذخر اعظم ما في حياته لتكوين احتياطي لضمان شيخوخته يقدم افضل ما عنده لخدمة المسيح ويثق فيه للمستقبل، مؤمناً بانه اذ يطلب ملكوت الله وبره لن يكون في حاجة الى طعام او ملبس (متى ٦:٣٣).

وهو يرى ان الامر غير معقول ان يذخر ويجمع ثروة لليوم الأسود وحجته في ذلك ما يأتي:

١ – كيف يمكن ان نحتفظ بالمال ونذخر بشعورنا ووجداننا كل فائض منه، بينما يمكن ان يستعمل حالياً لخلاص النفوس؟ ويسأل نفسه «من كان له معيشة العالم ونظر اخاه محتاجاً وأغلق احشاءه عنه فكيف تثبت محبة الله فيه» (يوحنا الاولى ٣:١٧)؟

ثم تأملوا وصية الرب العظيمة المهمة – «ان تحب قريبك كنفسك» (لاويين ١٩:١٨). فهل نحن نتمم هذه الوصية ان كنا نترك اقرباءنا يموتون جوعاً، بينما نحن نأكل ويفضل عنا الخبز؟ هل استعين بواحد ممن اختبروا فرح عطية الله التي لا يعبر عنه واسأله «هل ترضى ان تستبدل هذا الاختبار بمائة عالم؟ اذاً يليق بنا ان لا نحرم الآخرين من الوسائط التي تمنحهم هذه المعرفة المكرسة وهذه التعزية السماوية.

٢ – ان كنا نؤمن حقاً ان المسيح آتٍ سريعاً فستكون فينا رغبة ملحّة في ان نضع أموالنا في خدمة الرب بأسرع ما يكون.

وإلا تعرّضت هذه الأموال للوقوع في قبضة ابليس !

٣ – كيف نستطيع ان نصلي بضمائر مخلصة طالبين من الله ان يدبر المال اللازم للعمل المسيحي ، عندما يكون عندنا نحن مال نأبى ان نستخدمه في هذا الغرض ؟ ان ترك كل مالنا لاجل المسيح ينقذنا من الرياء في الصلاة .

٤ – كيف نقدر ان نعلّم الآخرين كل مشوره الله ، ان كانت هناك حقائق كهذه نقصر في اطاعتها وتنفيذها ؟ ان حياتنا في مثل هذا التقصير تعطل شهادة أفواهنا .

٥ – ان رجال العالم الماهرين يحتفظون باحتياطي كبير للمستقبل. وهذا سلوك بالعيان لا بالايمان . اما المسيحي فهو مدعو لحياة الاعتماد على الله. فان كان ينصرف الى جمع كنوز على الارض، فكيف يكون مختلفاً عن اهل العالم وطرق العالم ؟

واحياناً نسمع حجة بان من الواجب علينا ان نذخر لمستقبل عائلاتنا ، والا صرنا أردى من غير المؤمنين . ويقتبس عادة العددان التاليان لتأييد هذا الرأي :

«... لانه لا ينبغي ان الاولاد يذخرون للوالدين بل الوالدون للاولاد» (٢ كورنثوس ١٢ : ١٤) .

«ان كان أحد لا يعتني بخاصته ولا سيما أهل بيته فقد أنكر الايمان وهو شر من غير المؤمن» (١ تيموثاوس ٥ : ٨) .

ودراسة دقيقة لهذين العددين تبين أنهما يعالجان موضوع الحاجيات الضرورية اليومية ، ولا يشيران الى الضمانات المستقبلة .

في العدد الاول يستخدم بولس اسلوباً تهكمياً تشبيهياً . فهو الأب

واهل كورنثوس المؤمنون أولاده . وهو لم يثقلهم مالياً ، ولو انه كان يملك كل حق ان يفعل ذلك كخادم وعبد للرب . وكان علاوة على ذلك أباهم في الايمان ، والآباء عادة يذخرون لأجل الأولاد ، لا الأولاد لأجل الوالدين . فالموضوع ليس موضوع تكوين احتياطي أو عمل ادخار من الوالدين لمستقبل الأولاد، وانما كل الفصل يختص بالقيام بحاجات بولس الحاضرة، لا بضروريات مستقبله التي قد تنشأ فيما بعد.

وفي ١ تيموثاوس ٥ : ٨ يبحث الرسول موضوع العناية بالارامل . وهو يشدد على ان اقرباءهن مسؤولون عن العناية بهن . فان لم يكن لهنّ أهل ، او قصّر أهلهنّ في مسئولياتهم نحوهنّ ، فعلى الكنيسة المحلية أن تعتني بهؤلاء الارامل المسيحيات . اذاً ترى هنا أيضاً أن الموضوع يختص بالاحتياجات الحاضرة ، لا بالضروريات المستقبلة .

ان المثل الاعلى الذي يقدمه الله هو ان أعضاء جسد المسيح يجب أن يهتموا بالحاجات الضرورية الحاضرة لاخوتهم المؤمنين .

وقد شرح بولس الرسول هذا الأمر فبيّن ان الامر هو أمر مشاركة ومساواة فقال «فانه ليس لكي يكون للآخرين راحة ولكم ضيق بل بحسب المساواة . لكي تكون في هذا الوقت فُضالتكم لإعوازهم كي تصير فُضالتهم لإعوازكم حتى تحصل المساواة» (٢ كورنثوس ٨ : ١٣-١٥) .

ان المسيحي الذي يشعر انه يجب ان يعدّ للمستقبل يواجه المشكلة الصعبة وهي مشكلة تقدير مقدار ما يلزم لتلبية تلك الاحتياجات . ومن ثم ينفق حياته في السعي لجمع ثروة كبيرة بقدر ما يستطيع . وبهذا يحرم نفسه من فرصة تقديم أحسن ما عنده للرب يسوع المسيح . واذ يصل الى نهاية حياته التي سبق ان أتلفها ، يجد ان احتياجاته كان

يمكن تلبيتها بشكل ما لو انه عاش مكرساً قلبه بتمامه للمخلص .

لو أن كل المسيحيين اخذوا كلمات المسيح حرفياً ما كان هناك عجز ولا نقص في المال اللازم لعمل الرب ، بل كان الانجيل ينتشر بقوة متزايدة الى ابعد الحدود . ولو وُجد أي تلميذ في حاجة فان تلاميذ المسيح الآخرين يسرّون بان يسعوا لمشاركته في ما عندهم .

والفكرة التي تقول بانه لا بد من وجود مسيحيين أثرياء حتى يمكن ان يصل الانجيل الى الأثرياء في العالم ، فكرة سخيفة مردودة . فاننا نقرأ ان بولس أوصل الانجيل الى بيت قيصر وهو سجين (فيلبي ٤ : ٢٢). فان اطعنا الله نستطيع ان نثق انه يرتب كل شيء .

ان مثال الرب يسوع قاطع ونهائي في هذا الأمر . وليس العبد أفضل من سيده. فلا يليق بالعبد ان يسعى لكي يكون غنياً وعظيماً ومكرماً في هذا العالم الذي فيه عاش سيده فقيراً ووضيعاً ومحتقراً.

ان آلام المسيح اشتملت على الفقر . فقد افتقر من اجلنا كما اشار بولس الرسول في ٢ كورنثوس ٨ : ٩ . انما لا يحتم الفقر بطبيعة الحال ان نلبس الخرق البالية أو نعيش في الأقذار ، ولكنه يشمل بالضرورة عدم وجود احتياطي ، كما يشمل التجرد من وسائل الرفاهية . وقد أشار اندرو موري الى ان السيد وتلاميذه ما كانوا يستطيعون ان يتمموا العمل الذي كان عليهم ان يتمموه لو لم يكونوا فعلاً فقراء . فمن أراد أن يرفع انساناً عليه ان ينزل كما فعل السامري الصالح. ولا يزال معظم الناس بل الأغلبية الساحقة منهم فقراء .

يقول الناس ان هناك ممتلكات مادية معينة ضرورية للحياة البيتية. وهذا صحيح .

ويقول الناس ان رجال الاعمال المسيحيين يلزمهم مبلغ معين من المال كرأس مال حتى يستطيعوا ان يقوموا بعملهم في الوقت الحاضر. وهذا صحيح.

ويقول الناس ان ثمة مطالب مادية اخرى، مثل السيارة، يمكن ان تستخدم لمجد الله. وهذا أيضاً صحيح.

لكن فيما عدا هذه الضروريات الجائزة، على المسيحي ان يعيش باقتصاد وتضحية لنشر الانجيل وان يكون شعاره كما قال غروفز «اعمل بقوة – استهلك قليلاً – وأعطِ كثيراً – وكل ذلك لاجل المسيح».

ان كلاً منا مسئول أمام الله عن معنى ترك الكل، فليس لمؤمن أن يشرع لآخر بل على كل انسان ان يتصرف كنتيجة لاختبار خاص أمام الرب. وهذا أمر شخصي يختص بكل انسان على حدة امام الله.

فان قاد الرب مؤمناً الى نوع من التكريس لم يعرفه من قبل نتيجة لاختباره الخاص فلا مجال له لكبرياء أو غرور شخصي فان كل تضحياتنا لا تحسب تضحيـات في ضوء الجلجثة. وعـلاوة على ذلك فنحن انما نعطي للرب ما لا نستطيع ان نحتفظ به على أي حـال، وما فقدنا حبه والتعلق به. وما أجمل ما قاله جم اليوت في هذا الصدد «ليس غبياً من يعطي ما لا يستطيع ان يحتفظ به، حتى يربح ما لا يستطيع ان يفقده».

٣

عقبات في سبيل التلمذة

كل من صمم اتباع المسيح عليه ان يتأكد من وجود طرق كثيرة للتهرب والتخلص. وسوف تقوم أمامه فرص عديدة تدعوه للنكوص والرجوع . وسوف ترتفع أصوات قليلة وتناديه حتى يتخلف بضع خطوات عن طريق الصليب .

وقد توضح هذا في قصة الثلاثة الذين أرادوا أن يكونوا تلاميذ للمسيح ولكنهم سمحوا لأصوات اخرى أن تأخذ مكان الأهمية والاسبقية على صوت المسيح .

«وفيما هم سائرون في الطريق قال له واحد يا سيد اتبعك اينما تمضي. فقال له يسوع للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار. وأما ابن الانسان فليس له اين يسند رأسه . وقال لآخر اتبعني . فقال يا سيد ائذن لي ان أمضي أولاً وادفن أبي . فقال له يسوع دع الموتى يدفنون موتاهم

وأما انت فاذهب وناد بملكوت الله . وقال آخر أيضاً اتبعك يا سيد ولكن ائذن لي أولاً ان اودّع الذين في بيتي . فقال له يسوع ليس احد يضع يده على المحراث وينظر الى الوراء يصلح لملكوت الله» (لوقا ٩:٥٧ – ٦٢) .

هؤلاء ثلاثة أشخاص لم تذكر أسماؤهم قابلوا المسيح وجهاً لوجه. ولقد شعروا بدافع داخلي يدعوهم لاتباعه ولكنهم سمحوا لشيء ان يتوسط بين نفوسهم والتكريس التام للمسيح . ولنَدْعُهم مجازاً

السيد «مستعجل جداً»

ندعو هذا الرجل الأول السيد مستعجل جداً . لقد أبدى بحماسة بالغة استعداده للتطوع في ان يتبع المسيح ، في أي مكان قائلاً : «يا سيد اتبعك أينما تمضي». اني مستعد ان أدفع أي ثمن مهما بلغ ، وأن أحمل أي صليب مهما كان ثقيلاً، وان أسير في أي طريق مهما كان وعراً.

ويبدو جواب المخلّص ، عند أول نظرة ، كأنه لا يرتبط بتطوع السيد مستعجل جداً ، وعرضه السخي القلبي ، اذ قال له يسوع : «للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار أما ابن الانسان فليس له أين يسند رأسه» . لكن جواب المخلّص كان في الحقيقة أنسب جواب لذلك السائل . كأن المسيح يقول له : «أنت تعلن رغبتك في ان تتبعني الى أي مكان ، وتذهب معي أينما أمضي، فهل ترضى أن تعيش بدون وسائل الراحة المادية في الحياة ؟ ان للثعالب وسائل للراحة في هذا العالم أكثر مما لي . ان للطيور عشاً ، تستطيع ان تدعوه بيتها ومأواها ، أما أنا فلا بيت لي ولا مأوى . اني اتجول من مكان الى

مكان بدون سكن في مسكونة صنعتها يداي، فهل ترضى ان تضحي بأمن البيت وراحته في سبيل اتباعي ؟ هل ترضى ان تضحي بوسائل الراحة المشروعة في الحياة لتخدمني بكل ولاء ؟

ويبدو ان الرجل لم يرض بذلك، لأننا لا نسمع عنه فيما بعد في الكتاب المقدس . فقد كان حبه لوسائل الراحة الأرضية، أعظم من ولائه وتكريسه للمسيح !

السيد «بطيء جداً»

اما الرجل الثاني فندعوه السيد بطيء جداً . انه لم يتطوع كما تطوع الرجل الأول، بل دعاه المخلص لاتباعه . ولم يكن جوابه رفضاً صريحاً، بل كان يبين انه لا يهتم اهتماماً كلياً بالرب. كان امامه شيء يستأثر باهتمامه الاول. وهذه كانت خطيته العظمى انه كان يضع مطاليبه قبل مطاليب المسيح . وتلاحظ ذلك من جوابه : «يا سيد ائذن لي أن أمضي اولاً وأدفن أبي» .

وجائز شرعاً ان يقوم الابن بكل ما عليه من احترام وتكريم لوالديه . وعندما يموت الأب، فمن المطالب الحتمية للايمان المسيحي ان يلقى ذلك الوالد دفناً مكرماً .

لكن هذه المجاملات الشرعية تصبح خطية شنيعة، اذا ما أخذت مكان الأسبقية على مطالب المسيح. وينكشف طموح حياة هذا الرجل ويتعرّى بجوابه للمسيح «يا سيد ... لي أولاً ...» أما باقي كلامه فكان ستراً وتغطية لاخفاء رغبته الخفية في ان يضع نفسه أولاً .

يظهر ان ذلك الرجل لم يدرك ان قوله «يا سيد ... لي... اولاً»

مناقضة أدبية واستحـالة تامة . فان كان المسيـح سيـداً فيجب ان يكون اولاً . أما ان وضعت النفس اولاً، وتوج ضمير الشخص المتكلم القائل «لي» على العرش ، ضاع سلطان المسيح وسيادته .

السيد بطيء جداً كان له عمل يتممه ، وجعل لهذا العمل المكان الأول . لذلك كان من اللائق ان يقول له المسيح «دع الموتى يدفنون موتاهم ، واما أنت فاذهب وناد بملكوت الله» . ويمكننـا ان نوضح كلماته هكذا : « توجد أشياء يستطيع ان يقوم بها الموتى روحياً ، كما يقوم بها المؤمنون . انما توجد أشياء اخرى في الحياة لا يستطيـع ان يقوم بها سوى المؤمن . فلا تضيع حياتك في عمل شيء يستطيـع ان يقوم به سواك من غير المؤمنين. دع الموتى روحياً يدفنون موتاهم جسدياً ، اما انت فكن رجلاً لا يستغنى عنه في عمل ملكوت الله . فاجعل باعثك الأسمى في الحياة تقدُّم عَمَلي على الأرض» .

ويبدو ان هذا الثمن كان اعظم من أن يدفعه السيد بطيء جداً . ولذلك لا نرى له ذكراً في التاريخ فيما بعد .

ان كان الرجل الأول قد أظهر ان وسائل الراحة المادية قد تكون عقبة في سبيل التلمذة ، فان الرجل الثاني قد أظهر ان العمل أو المهنة، قد تكون عقبة اذا اخذت مكان الأسبقية ، أو صارت الباعث الرئيسي في حياة المسيحي . ليس ان في الأعمال الدنيوية خطراً أوخطأ ، فان الله قد رتب ان يعمل الانسان ليعول نفسه ويدبر حاجات عائلته . ولكن حياة التلمذة الحقة تتطلب ان نضع ملكوت الله وبره اولاً ، وتتطلب ان لا يضيع المؤمن حياته في عمل ما يستطيع الانسان العادي غير المؤمن وغير المتجدد ان يفعله مثله، ان لم يكن افضل منه . وان

غرض الشغل هو مجرد توفير ضروريات المعيشة في وقت ان دعوة المؤمن الرئيسية هي المناداة بملكوت الله .

السيد «سهل جداً»

اما الرجل الثالث فندعوه السيد سهل جداً . وهو يشبه الاول في انه تطوّع في اتباع الرب ، وهو يشبه الثاني في استعماله نفس الكلمات المتناقضة التي استعملها الثاني: «يا سيد ... لي...اولاً» اذ قال «اتبعك يا سيد ولكن ائذن لي اولاً ان اودع الذين في بيتي» .

ونسلم مرة اخرى انه لا يوجد خطأ اساسي في الطلبة في حد ذاتها، فليس في اظهار الاهتمام الحي بأحد اقربائنا أو في مجاملة أحبائنا عند وداعهم أي شيء يناقض شريعة الله . فما هي اذن نقطة الضعف وموطن الخطأ في تصرف هذا الرجل ؟ نقطة الضعف هي انه سمح للعلاقات الطبيعية الحبية ان تأخذ مكان الصدارة وتتقدم على مكان المسيح .

ولذلك يقول له المسيح بنظر ثاقب «ليس احد يضع يده على المحراث وينظر الى الوراء يصلح لملكوت الله». وكأن المسيح بذلك يقول له «ان تلاميذي ليسوا من النوع الذي يتركز في نفسه ، ويوزع كل طموحه مترهلاً مسترخياً كما يظهر منك . اني اريد اناساً يرغبون ان يتركوا كل الرُّبُط العائلية ولا تشتتهم علاقات أهلية عاطفية ، اناساً يضعونني قبل كل شيء وفوق كل شيء في حياتهم» .

واراني مضطراً ان استنتج ان السيد سهل جداً ترك يسوع ومضى حزيناً في الطريق . فان طموحه الشديد ان يكون تلميذاً للمسيح قد

تحطم على صخرة العلاقـات العائليـة . ربما كانت امه تبكي وتنتحب وتقول له «انك تكسر قلب امك ان تركتني وذهبت الى الحقل المرسلي. لا نعلم ذلك على وجه التحديد انما كل ما نعلمه هو ان الكتاب المقدس لم يذكر اسم هذا الشخص الخـائر القوى ، الذي نكص وعـاد على اعقابه ففقد بذلـك اعظم فرصة في حياته ، وصار يحمل لقب « لا يصلح لملكوت الله».

توجد اذن ثلاث عقبات رئيسية في سبيل التلمذة الحقة، يوضحها هؤلاء الرجال الثلاثة الذين لم يكونوا مستعدين ان يسيروا كل الطريق مع الرب يسوع .

السيد مستعجل جداً – حب وسائل الراحة الارضية

السيـد بطيء جـداً – تفضيل العمل او المهنة

السيد سهـل جـداً – تفضيل العلاقات العائلية .

ولا يزال الرب يسوع يدعو ، كما دعا من قبـل ، رجـالاً ونساء لاتباعه بكل بطولة وبكل تضحية .

وما زالت العقبات وسبل التهرب ميسورة تعرض نفسها بعبارات مغرية قائلة «انقذ نفسك ! حاشاك ! لا يكون لك هذا».

وما اقل من يقبلون تلبية النداء ويختارون المسيح اسنى نصيب !

٤

التلاميذ هم وكلاء

مَثَلُ وكيل الظلم (لوقا ١٦:١ – ١٣) أعطي للتلاميذ ، وفيه بيَّن المسيح المبادىء التي تنطبق على التلاميذ في كل العصور . أليس التلاميذ وكلاء عهد الرب اليهم العناية بماله ومصالحه هنا على الأرض؟

وهذا المثل يعج بالصعوبات . ويبدو في الظاهر انه يمتدح الخداع والالتواء . لكن اذا فُهِم على حقيقته فهو مليء بتعاليم على أكبر جانب من الأهمية .

وقصة هذا المثل تتلخص في ان رجلاً ثرياً استأجر وكيلاً عهد اليه بالاشراف على أعماله . وبعد مضي مدة من الزمن عرف السيد ان وكيله كان يبذر أمواله فاستدعاه في الحال وطلب منه ان يقدم حساب وكالته ، مع تدقيق كامل لدفاتره ، وأعطاه انذاراً بانهاء خدمته

وادرك الوكيل ان مستقبله كئيب مظلم. فقد كان متقدماً في السن بحيث لا يستطيع ان يقوم بعمل يدوي متعب، وكان خجولاً يستحي ان يستعطي. وسرعان ما خطر له خاطر يضمن له أصدقاء في أيام المحنة القادمة. فذهب الى واحد من مديوني سيده وسأله «كم عليك لسيدي»؟ فأجاب «مئة بث زيت» أي ما يعادل ثلاثة آلاف لتر زيت. قال الوكيل «ادفع فقط ما يعادل النصف ونحن نسوي الحساب». ثم مضى الى مديون آخر من مديوني سيده وسأله نفس السؤال: «كم عليك لسيدي»؟ فأجاب «مئة كر قمح» أي ما يعادل ثمانية وعشرين الف كيلو غرام من القمح فقال له ادفع «ثمانين كر قمح» أي ما يعادل اثنين وعشرين الف كيلو غرام ثم نقفل الحساب.

واصعب من تصرف هذا الوكيل غير الأمين التعليق الذي يليه: «فمدح السيد وكيل الظلم اذ بحكمة فعل. لان ابناء هذا الدهر احكم من ابناء النور في جيلهم» (لوقا ١٦:٨).

كيف نفهم نحن هذا المديح الذي يبدو انه يشجع الخداع والخيانة في المعاملات؟

هناك أمر مؤكد لا شك فيه: لا سيد وكيل الظلم ولا سيدنا المبارك امتدح هذا الخداع وعدم الأمانة. بل ان عدم الأمانة هي التي سببت، بالدرجة الاولى، طرده من العمل. وهل يمكن ان نجد شخصاً مستقيماً يشجع على الغش او يمتدح الخيانة؟ ومهما حوى هذا المثل من تعاليم فليس فيه أية اشارة تبرر الاختلاس أو السرقة باي حال من الأحوال.

انما هناك شيء واحد يستحق ان يمدح بسببه وكيل الظلم وهو

تخطيطه أو تدبيره للمستقبل. فقد اتخذ خطوات ليؤمّن لنفسه اصدقاء بعد انتهاء وكالته فهو عمل للمستقبل لا للحاضر.

هذه هي النقطة المركزية في المثل: ان اهل العالم يتخذون خطوات جدية لتأمين مستقبلهم — أي وقت شيخوختهم وأعوام تقاعدهم. فهم يعملون بكل جد واجتهاد ليضمنوا لانفسهم راحة، عندما لا يستطيعون ان يقوموا بعمل يمكن ان يربحوا من ورائه شيئاً. وهم لا يتركون سبيلاً ولا باباً الا ويطرقونه طلباً في ضمان اجتماعي لهم.

ومن هذه الناحية نستطيع ان نقول ان غير المخلّصين احكم من المسيحيين. أما السبب في ذلك فلأن مستقبل المسيحي هو في السماء وليس في هذه الأرض. هذه هي النقطة الدقيقة في الامر. فان مستقبل غير المؤمن ينحصر في الوقت الذي يقع بين حاضره والقبر. اما مستقبل كلٍ من المؤمنين فهو الأبدية التي تقضى مع المسيح.

ويعلمنا هذا المثل ان غير المتجددين هم احكم وانشط في الاستعداد لمستقبلهم على الأرض من المسيحيين في الاستعداد لمستقبلهم في السماء.

والتطبيق العملي الذي يقدمه المسيح من هذا المثل، هو ان المال أو الممتلكات الدنيوية، وكلها يمكن ان تسمى بمال الظلم، يمكننا ان نستخدمها في ربح النفوس للمسيح. والنفوس التي نربحها بواسطة امانتنا في استعمال المال تسمى في المثل «اصدقاء». وسيأتي يومٌ فيه يدركنا الموت او نُخطَف في السحب لملاقاة الرب في الهواء. و«الاصدقاء» الذين نكون قد ربحناهم بواسطة حكمتنا في استعمال اموالنا سوف يقبلوننا في المظال الأبدية.

بهذه الطريقة يخطط الوكلاء الحكماء للمستقبل — لا بانفاق حياتهم

في السعي الباطل وراء الحصول على ضمانات في الارض، بل في السعي النشيط المتحمس للحصول على اصدقاء في السماء ، نكون قد ربحناهم عن طريق اموالنا . فعندما يتحول المال الى كتب مقدسة واناجيل واجزاء من الكتاب المقدس ونبذ روحية ومطبوعات دينية اخرى، وعندما يُنفق المال على المرسلين وغيرهم من العمال المسيحيين، وعندما ينفق المال لتمويل برامج الاذاعات المسيحية وسائر النشاطات المسيحية الاخرى الجديرة بالتشجيع، وبعبارة مختصرة عندما يستخدم المال في نشر الانجيل في كل مكان وبكل طريقة ، عند ذلك يتحول المال الى اصدقاء . وبهذه الطريقة وحدها نستطيع ان نكنز لنا كنوزاً في السماء ، اذ نضع المال في شيء سوف نجده في السماء .

عندما يرى المسيحي ان أمواله وممتلكاته الزمنية يمكن ان تستخدم في خلاص النفوس الثمينة ، يفقد محبته للأشياء المادية ، وتضيع لذته للترفه والثروة والمظاهر المادية الجذابة، فلا يعود يستسيغها ولا يهضمها، ويشتاق ان يرى مال الظلم يتحول بكيمياء الهية الى عُبّاد للحمل يسجدون له الى الابد والى أبد الآبدين . وعند ذلك يستأسره فكر امكانية القيام بعمل في حياة البشر يؤول الى مجد دائم لله وسعادة دائمة له ولشعب الله . وكل ما في العالم من الماس وجواهر ولآلىء ، وودائع في البنوك ، وبوالص للتأمين ، وقصور ويُخُوت وسيارات فاخرة ، تصبح في عينيه «مال الظلم». ان استخدمها المرء في سبيل ذاته انتهت باستخدامها وفنيت ، اما ان انفقت لاجل المسيح تحوّلت الى غنائم وأرباح تبقى الى الأبد .

والطريقة التي بها نستخدم أموالنا وممتلكاتنا ، والمدى الذي بـه

نتمسك ونتعلق بها هو محك اخلاقنا. وقد اكد المسيح ذلك في العدد العاشر بقوله : « الأمين في القليل امين أيضاً في الكثير . والظـالم في القليل ظالم ايضاً في الكثير » .

و«القليل» المذكور في هذا العدد هو وكالتنا في الأشياء المادية . فالرجل الأمين هو الذي يستخدمها لمجد الله وبركة اخوته . «والظالم» هو الذي يستخدمها لراحته الشخصية ولتنعُّمه وتمتُّعه الأناني . فاذا كان انسان غير أمين ولا يمكن ان يعهد اليه بالقليل أي بالاشياء المادية، فكيف يمكن ان يعهد اليه بالكثير أي بالأشياء الروحيـة ؟ ان كان انسان غير امين في مال الظلم ، فكيف ننتظر منه ان يكون أميناً كخادم للمسيح وكوكيل على سرائر الله (كورنثوس الأولى ٤ : ١) ؟ ويشدد المخلص على هذا بشكل أكثر فيقول: «ان لم تكونوا أمناء في مال الظلم فمن يأتمنكم على الحق» (١١) .

ان الكنوز الأرضية ليست هي الغنى الحقيقي ،فان قيمتها محدودة ووقتية . أما الكنوز الروحية فهي الغنى الحقيقي لأن قيمتها لا يمكن ان تقاس ولن يكون لها نهاية. واذا لم يكن الانسان أميناً في استخدام الأشياء المادية ،فليس له ان ينتظر من الله ان يعهد اليه بنجاح روحي في هذه الحياة أو كنوز في السماء .

ثم يخلـُص المسيح في مَثـَلِهِ الى القول : «ان لم تكونوا امناء في ما هو للغير فمن يعطيكم ما هو لكم» (١٢) .

ان الأشياء المادية ليست لنا بل لله. وكل ما نملكه هو وكالة مقدسة يأتمننا الله عليها . وكل ما يمكن أن نسميه مِلكنـا هو ثمرة ما نبذله من جهد وما نؤديه من خدمة في هذه الحياة ، وهو مكافـأة الوكالة

الأمينة هناك . فان لم نكن اهلاً للأمانة والثقة في التصرف بمال الله، فلا حق لنا ان ننتظر أن ندخل الى حقائق أعمق في كلمة الله في هذه الحياة أو الى جزاء في الحياة الأخرى .

وبعد ذلك تبلغ لهجة التشديد اسمى درجة فيلخص المسيح التعليم - الذي ينطوي عليه المثل - قائلاً « لا يقدر خادم ان يخدم سيدين لانه اما ان يبغض الواحد ويحب الآخر . أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر . لا تقدرون ان تخدموا الله والمال» .

لا يمكن ان يكون هناك ولاء منقسم ، فالتلميذ لا يستطيع ان يعيش في خدمة سيدين . والوكيل يحب اما الله او المال . فان احب المال فقد ابغض الله .

واذكر، اخي، ان هذا الكلام موجّه للتلاميذ، لا لغير المخلّصين.

٥

الغيرة

يُعذر تلميذ اذا لم تكن له مقدرة عقلية فائقة، ويمكن ان يُعذَر ايضاً اذا لم يظهر شجاعة بدنية فذة. ولكن لا يمكن ان يُعذر تلميذ اذا لم تكن له غيرة . فان كان قلبـه لا يلتهب بحماس ناري مضطرم فهو يدان .

أليس المسيحيون هم أتباع ذاك الذي قال : «غيرة بيتك اكلتني» (يوحنا ٢:١٧)؟ لقد كان مخلصنا متقداً غيرة لله ولجميع ما يختص بالله. فكيف يرضى لذاته بأتباع فاترين ؟

لقد عاش المسيح عيشة متقدة بالغيرة . وهذا ما تشير اليه كلماته « لي صبغة اصطبغها وكيف انحصر حتى تُكمل» (لوقا ١٢:٥٠) ، كما تشير اليه أيضاً عبارته المشهورة «ينبغي ان اعمل اعمال الذي ارسلني ما دام نهار. يأتي ليل حين لا يستطيع أحد ان يعمل» (يوحنا ٩:٤).

ولقد شهد المسيح لغيرة يوحنا المعمدان بقوله : «كان هو السراج الموقد المنير» (يوحنا ٥ : ٣٥) .

وكان بولس الرسول غيوراً جداً ، وقد حاول احدهم أن يصف غيرة حياته في المقطع التالي :

« ها أمامنا رجل لا هم له في جمع اصدقاء حوله ، ولا رجاء له في تكوين ثروة مادية ، ولا خوف عنده لفقدان اشياء عالمية ، عاش بلا هم في الحياة ، وبلا خوف من الموت . رجل لا يسعى لمنصب ولا يتحمس لبلد ولا يسعى الى تحسين حالته . رجل ركز كل فكره في أمر واحد هو انجيل المسيح . رجل له غرض واحد هو مجد الله ، رجل حسب غبياً ، ورضي ان يُحسب غبياً لأجل المسيح ، وان يُدعى متحمساً متعصباً مهيجاً . واذا سمّوه تاجراً ، أو رب بيت ، أو مواطناً ، أو صاحب ثروة ، أو رجل العالم ، أو رجل العلم ، او حتى رجلاً متصفاً بالذوق السليم لا يجد كل هذا ولا شيء من هذا اي انسجام مع طبيعته او سجاياه . كان عليه ان يتكلم او ان يموت ، ولن يحجم عن الكلام حتى اذا ادى به ذلك الى الموت . ولم يعط لنفسه راحة بل أسرع يجوب البر والبحر فوق الصخور وفي صحاري مجهولة لم يسلكها من قبله انسان ، وهو ينادي بصوت عال ولا يكف ، ولا يعوقه عائق . ففي السجن يرفع صوته ، وفي عواصف المحيط لا يسكت ، وقدام المجامع الرهيبة المفزعة والملوك المتوجين يشهد للحق . لم يستطع أحد ان يخمد صوته الا الموت بل حتى في ساعة الموت ، وقبل ان تفصل السكين رأسه عن جسمه ، نراه يتكلم ، ويصلي ، ويشهد ، ويعترف ، ويتوسل ، ويناضل واخيراً

يبارك الشعب القساة» .

وقد كان لآخرين نفس هذه الغيرة الملتهبة لارضاء الله . فقد كتب س. ت. ستد يقول مرة :

«يريد بعضهم أن يعيش داخل الكنيسة يسمع صوتها ويقرع جرسها. اما انا فاريد ان اركض لأنقذ انساناً على بعد ياردة من جهنم» .

وبهذه المناسبة نذكر عرضاً ان الذي قـاد ستد الى تكريس تام للمسيح كان مقالاً كتبه ملحد وهذا نص المقال :

«لو كنت اؤمن حقاً وعن يقين ، بما يؤمن به ملايين المسيحيين ، وهم يقولون بأن معرفة الدين وتطبيقه في هذه الحياة يقرران المصير في الحياة الاخرى، لو كنت اؤمن بهذا مثلهم لكنت اجعل الدين يعني كل شيء في حياتي. كنت اطرح كل تمتع دنيوي كزبالة، وكل الهموم الارضية كحماقة وكل الافكار الدنيوية والمشاعر العالمية كبطل، واتخذ الدين أول فكر لي عندما استيقظ ، وآخر صورة ترتسم امامي قبل ان استغرق في النوم واستسلم للاشعور، وكنت اعمل في قضية الدين وحدها، ولا اهتم بغد الا للابدية وحدها . وكنت اقدِّر ربح نفس واحدة للسماء يعادل حياة كاملة من الألم. وما كانت تعطّل يدي او تقفل فمي عواقبٌ أرضية ، فان الارض بافراحها واحزانها ما كانت تشغل لحظة من أفكاري بل كنت اسعى ان انظر للابدية وحدها وانظر من حولي الى النفوس الخالدة التي أوشكت على الأبدية ـ ابدية سعادة او أبدية شقاء! بل كنت اذهب الى العالم واكرز في وقت مناسب وغير مناسب متخذاً آية موضوعي «ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه ؟»

كان جون وسلي انساناً غيوراً وقد قال مرة: «اعطني مائة شخص

يحبون الله بكل قلوبهم، ولا يخافون سوى الخطية، وأنا أهز بهم العالم».

وكان جم اليوت – شهيد اكوادور – شعلة من نار لاجل المسيح يسوع. كان في يوم من الايام يتأمل في هذه العبارة «الصانع خدامه ناراً ملتهبة» (عبرانيين ١: ٧) فكتب في مذكرته يقول: «هل انا ملتهب؟ نجني يا الهي من أن أكون حجر فتيل مرعب للاشياء الآخرة. امنحني ان أتشبع وأمتلىء بزيت الروح حتى استطيع ان أكون لهيباً. ولكن اللهيب وقتي قصير العمر، فهل تستطيعين يا نفسي ان تكوني زائلة قصيرة العمر في غيرتك؟ فيّ يسكن روح ذلك العظيم الذي عاش حياة قصيرة الذي اكلته غيرة بيت الله فاجعلني يا رب لهيباً لك وناراً متقدة.

وهذا السطر الاخير مقتبس من قصيدة تتميز بالغيرة والاضطرام كتبتها أمي كار ميكل. ولا عجب ان استمد جم اليوت الهاماً عظيماً من هذه القصيدة:

نجني يا رب، نجني أنا عبدك وحررني
نجني من الصلاة التي تهرب من الرياح
نجني من الخوف الذي يخشى الطموح
نجني من الرعب الذي يتهيب التسلق
نجني من النفس الناعمة كالحرير
واجعلني جندياً شجاعاً جديراً باتباعك ايها القائد.

نجني من اختيار الهنات الهينات
نجني من الاستسلام والتسليم للضعفات
فليس هذا هو الحصن المطلوب

وليس هذا هو الروح الموهوب
لمن يسير في طريـق المصلوب
فمن هذا نجني يا حمل الله الحبيب

امنحني المحبة التي تقودني في الطريق
امنحني الايمان الذي لا يخشى الضيق
امنحني الرجاء الذي لا يخشى الفشل
امنحني الحماس الذي يضرم في نار العمل
حتى لا أصبح قطعة طين باردة خامدة
بل اجعلني يا رب لهيباً لك وناراً متقدة

أليس عاراً على كنيسة القرن العشرين ان تبدو بين أتباع المذهب المادي وأنصار البدع المستحدثة غيرة اكثر مما يبدو بين المسيحيين.

الا نخجل كمسيحيين عندما نذكر ان لينين بدأ عام ١٩٠٤ مع سبعة عشر من أتباعه يهاجمون العالم، ثم صار عددهم أربعين ألفـاً في عام ١٩١٨ وقد استطاعوا ان يملكوا زمام مائـة وستين مليوناً، ثم تضاعف عددهم حتى أصبح يضم نحو ثلث سكان العالم في هذه الأيام؟ الا نخجل مما ينادون به علناً، ويكتبونه، كما جاء في الخطاب الذي نقتبسه في ما يلي:

«نحن نتزايد بنسبة مدهشة جداً. اننا نلقى حتفنا بالرصاص، ونشنق، ونسجن، ونطرد من وظائفنا، ونلاقي كل عذاب وتنكيل... اننا نعيش في السجون المظلمة، وفي الفقر المدقع. ونقدم كل مبلغ نربحه، مما يزيد على حاجاتنا الضرورية للحزب الذي نتتمي اليه. اننا لا نذهب

الى السينما، ولا الى الملاهي، ولا الى الحفلات، ولا نبني القصور، ولا نقتني السيارات الفخمة، لنوفر كل ما نستطيع ان نوفره لنشر مبدئنا. وحياتنا كلها تتجه الى هدف واحد، هو نشر مبدئنا. هذا المبدأ هو حياتي، وعملي، وديني، وهوايتي. هو خطيبتي، وزوجتي، وسيدتي وطعامي، وشرابي. لاجل هذا المبدأ اعمل في النهار، وبه أحلم في الليل. وهو مبدأ يملك كل حواسي، وينمو ولا يضعف بمرور الزمن. لهذا لا احتفظ بصداقة، ولا علاقة حب، ولا حديث لا علاقة له بهذه القوة الدافعة المسيطرة على حياتي. وتقديري للناس والكتب والأفكار والأعمال انما يقاس بمقدار أثرهم في خدمة هذا المبدأ ونشره. واني على استعداد لان اذهب في سبيل هذا المبدأ الى السجن، بل الى الاعدام.

فان كان «اهل العالم» يكرسون انفسهم لقضيتهم الى هذا الحد، فكم بالاحرى على المسيحيين ان يكرسوا انفسهم بل ان يسكبوا انفسهم في ولاء تام مملوء بالحب والفرح لسيدهم المجيد. حقاً اذا كان الرب يسوع يستحق شيئاً فهو يستحق كل شيء. او كما قال فندلي «ان كان الايمان المسيحي يستحق ان نؤمن به اطلاقاً فهو يستحق ان نؤمن به بكل شجاعة وبطولة».

قال جايمس ديني: «ان كان الله قد فعل حقاً في المسيح شيئاً يتوقف عليه خلاص العالم، وقد جعل ذلك معروفاً معلوماً فمن واجب كل مسيحي ان لا يتساهل في أي شيء يتجاهله او ينكره او يفسره تفسيراً يضيع معناه».

ان الله يريد اناساً يضعون انفسهم تماماً تحت امرة الروح القدس وسيطرته. وسيظهر هؤلاء الناس للآخرين انهم قد امتلأوا سلافة او

سكروا بالخمر، اما اولئك الذين يعرفون معرفة افضل فيدركون انهم مسوقون بعطش الى الله عميق قوي شديد لا يطفأ.

فعلى كل من يريد ان يكون تلميذاً للمسيح ان يمتلىء قلبه بغيرة وقادة في حياته، وعليه ان يصبو ان يتمم في حياته الوصف الذي ذكره الاسقف رايل في كتابه المشهور «المسيحية العملية».

«ان الرجل الغيور في الدين هو قبل كل شيء رجل شيء واحد. فلا يكفي ان نقول انه غيور، محب، لا يهادن، دقيق، كلي التكريس، حار في الروح، بل هو ايضاً الشخص الذي ينظر الى شخص واحد، ويهتم بشيء واحد، ويبتلع في شيء واحد، وهذا الشيء الواحد هو ارضاء الله. وسواء عاش أم مات، وسواء صح أم مرض، وسواء اغتنى ام افتقر، وسواء ارضى الناس أم اغضبهم، وسواء اصابه مدح ام ذم، وسواء كُرِّم ام اهين، فلا يهم الرجل الغيور شيء من كل هذا. فان احترق وفني فهو قانع راض، شاعراً انه كمصباح قد صنع ليحترق، وان فني باحتراقه فانما هو يتمم العمل الذي لأجله اعده الله. ان لم يستطع ان يبشر، وان يعمل، وان يعطي، يصرخ وينتحب ويصلي. اجل، وان كان فقيراً معدماً، أو مريضاً ملازماً للفراش دائماً، فهو حتى في هذه الحالات يعرقل دواليب الخطية حتى تساق حوله بثقل، وذلك بصلواته المستمرة ضد الخطية. واذا لم يستطع ان يحارب في الوادي مع يشوع، فسيعمل عمل موسى وهرون وحور على الجبل (خروج ١٧: ٩ – ١٣). وان قُطع هو نفسه من العمل فهو لا يسكت ولا يدع الرب يسكت، حتى تأتي المعونة من باب آخر، ويتم العمل بشخص آخر. هذا ما اقصده عندما اتكلم عن الغيرة في الدين».

٦

الايمان

لا يمكن ان تكون هناك تلمذة حقيقية بدون ايمان عميق صادق في الله الحي . فان من اراد ان يقوم باعمال عظيمة جبارة لله عليه ان يثق فيه ثقة تامة . فان «كل رجال الله العظام كانوا دائماً وابداً اناساً ضعفاء قاموا باعمال عظيمة لله لأنهم اعتمدوا على الله المساند لهم» كما قال هدسون تيلر .

والايمان الحقيقي يؤسس دائمـاً على وعد من الله أو على فقرة من الكتاب المقدس . هذا أمر على جانب كبير من الأهمية ، فان المؤمن يجب ان يقرأ او يسمع وعداً ما من الله ، فيأخذ الروح القدس ذلك الوعد ويطبقه على قلبـه وضميره بطريقة شخصيـة بحتة ، بها يدرك المسيحي ان الله قد كلمه مباشرة. وبثقة تامة في الذي وعد وهو اهل لكل ثقة ، يحسب المؤمن ان الوعد مؤكد ومضمون كما لو كان قد تم فعلاً ، ولو انه يبدو مستحيلاً من وجهة النظر الطبيعية .

وربما كان الامر وصية اكثر منه وعداً . والمؤمن لا يرى فرقاً في الحالتين . فان كان الله يأمر ، فهو يمكّن من اتمام الأمر . فاذا أمر بطرس ان يمشي على الماء فلبطرس ان يتأكد من نوال القوة التي يحتاج اليها لذلك (متى ١٤ : ٢٨) . وهكذا الحال معنا فاذا أُمرنا ان نكرز بالانجيل للخليقة كلها فلنا ان نتأكد من نوال النعمة التي نحتاج اليها لذلك.

والايمان لا يتمم عمله في دائرة الممكن ، فلا مجد لله في اتمام ما يمكن اتمامه بشرياً . انما الايمان يبدأ حيث تنتهي قوة الانسان ، او كما قال جورج مولر «ان دائرة الايمان تبدأ حيث تنتهي الممكنات ، وحيث يفشل العيان والحس» .

يقول الايمان «ان كان الاعتراض الوحيد هو ان هذا العمل مستحيل فاذاً ممكن عمله» .

قال س. هـ. ماكنتوش « ان الايمان يأتي بالله الى صلب المشهد ، ولذلك فهو لا يرى شيئاً صعباً مطلقاً ، لا بل هو يهزأ بالمستحيلات . وفي نظر الايمان الله هو الجواب الاعظم لكل مشكلة ، وهو الحل الأعظم لكل صعوبة . انه يأتي لله بكل امر فلا يهم الايمان في كثير او قليل ان كان المطلوب ستمائة الف دولار أو ستمائة مليون . فانه يعرف ان الله قادر على كل شيء وفيه يجد سد كل اعواز . اما عدم الايمان فيسأل : كيف يمكن هذا وكيف يمكن ذاك ؟ وهو مملوء من الاسئلة كيف وكيف . اما الايمان فله الجواب الأعظم الأوحد لألف كيف وكيف، وذلك الجواب هو الله».

كان مستحيلاً ، من وجهة النظر البشرية ، ان يكون لابراهيم

وسارة ابن، لكن الله وعد، ولم يكن عند ابراهيم الا استحالة واحدة وهي : ان الله يكذب .

«فهو على خلاف الرجاء آمن على الرجاء لكي يصير ابا لأمم كثيرة كما قيل هكذا يكون نسلك . واذ لم يكن ضعيفاً في الايمان لم يعتبر جسده وهو قد صار مماتاً اذ كان ابن نحو مئة سنة ولا مماتية مستودع سارة . ولا بعدم ايمان ارتاب في وعد الله بـل تقوى بالايمان معطياً مجداً لله . وتيقن ان ما وعد به هو قادر ان يفعله ايضاً» .

ان الايمان ، الايمان القوي ، يرى الوعد ، ويتطلع الى الله وحده ويهزأ بالصعوبات ، ويصيح قائلاً «لا بد ان يتم» .

ان الهنا اله تخصص في اجراء المستحيلات (لوقا ١ : ٣٧) لانه «هل يستحيل على الرب شيء» (تكوين ١٨ : ١٤) كلا! بل ان «غير المستطاع عند الناس مستطاع عند الله» .

ان الايمـان يتمسك بالوعد ويقول «كل شيء مستطـاع للمؤمن» (مرقس ٩ : ٢٣) ويهتف مع بولس قائلاً «استطيع كل شيء في المسيـح الذي يقويني» (فيلبي ٤ : ١٣) .

«الشك ينظر الصعوبات ، اما الايمان فيرى الطريق ؛ الشك ينظر الليل ، اما الايمان فيرى النهار ؛ الشك يخاف ان يخطو خطوة ، اما الايمان فيحلّق في الأعالي ؛ الشك يتساءل : من يصدق هذا ؟ فيجيب الايمان : انا» .

ولأن الايمان يتعامل دائماً مع ما هو فائق الطبيعة ، وما هو الهيّ ، فهو لا يبدو دائماً «معقولاً» . فلم يكن «معقولاً» لابراهيم ان يخرج وهو لا يعلم اين يتوجه لكنه صدق وعد الله واطاع امره وكفى (عبرانيين

٨:١١). ولم يكن «ذكاء» من يشوع ان يهجم على اريحا بدون ان تكون معه اسلحة قتالة (يشوع ٦:١ — ٢٠) . ان اهل هذا العالم يضحكون على مثل هذه المغامرات الجنونية، لكنها اثبتت معقوليتها وتممت مأموريتها.

ذلك ان الايمان في الحقيقة هو اكثر شيء معقول في الوجود. فأي شيء معقول اكثر من ان يثق المخلوق في خالقه ؟ هل من الجنون ان نؤمن بمن لا يمكن ان يكذب أو يتخلى أو يخدع؟ ان الثقة في الله هي اعظم شيء معقول، منطقي، مقبول، يمكن ان يفعله الانسان. فهو ليس قفزة في الظلام بل هو يتطلب أقوى تأكيد وأعظم برهان، فيجد هذا التأكيد وهذا البرهان في كلمة الله التي لا تخيب . وما من أحد وضع ثقته في الله وخاب قط، ولن يخيب أحد يفعل ذلك. ان الايمان في الرب لا ينطوي على أية أخطار مطلقاً.

ان الايمان يمجد الله حقاً، فانه يعطيه مكانه الصحيح، بوصفه اهلاً — دون سواه — للثقة التامة . أما عدم الايمان فيهين الله، اذ يتهمه بالكذب (١ يوحنا ٥: ١٠) ويحدّ الاله القدوس (مزمور٧٨: ٤١).

والايمان يعطي الانسان ايضاً مكانه الصحيح كمعتمد على الله متضع أمام الله، ينحني في التراب أمام الرب سيد الجميع.

الايمان ضد للعيان . ويذكّرنا بولس الرسول بقوله «لاننا بالايمان نسلك لا بالعيان» (٢ كورنثوس ٥ : ٧) . والسلوك بالعيان معناه الاعتماد على وسائل منظورة للاعالة، وتدبير احتياطات للمستقبل، واستخدام المهارة البشرية في عمل الضمانات ضد الأخطار غير المنظورة. أما السلوك بالايمان فهو عكس ذلك على خط مستقيم. هو الاعتماد على

الله وحده لحظة . هو اتكال مستمر على الرب. ان الجسد ينفر من موقف الاتكال الكامل على اله غير منظور ، ويحاول ان يجد له وسادة يستند عليها ضد الخسائر المحتملة . فاذا لم يجد اين هو سائر فهو معرض لأن يصاب بانهيار عصبي تام ، لكن الايمان يقفز بخطى ثابتة الى الأمام في طاعة لكلمة الله ، ويسمو فوق الظروف ، واثقاً ان الرب يلبي كل الاحتياجات .

وكل تلميذ للمسيح يعتزم ان يسير بالايمان عليه ان ينتظر يقيناً ان ايمانه سيلاقي الامتحان. وسوف يجد — عاجلاً ام آجلاً — موارده البشرية قد بلغت نهايتها وانقطعت تماماً . وفي ضيقه المرير يجرب ان يلجأ الى رفقائه واصدقائه . وأما ان كان يثق بالرب حقاً فسيتطلع الى الرب وحده .

قال س.هـ . مكنتوش «ان اطلاع أي كائن بشري على احتياجاتي بطريقة مباشرة او غير مباشرة هو حيدان عن حياة الايمان ، وهو اهانة صريحة لله . وهو ، بالفعل ، خيانة لله . فكأنما المرء يقول : ان الله قد تخلى عني ، وخيب رجائي فيه ، لذلك ألجأ الى صديقي للمعونة . انه تركٌ لينبوع المياه الحية لحفر أبآر مشققة لا تضبط ماء. انه وَضعُ مخلوق بين نفسي وبين الله . انه سلب نفسي من البركات الغنية ، وسلب الله من مجده» .

والموقف الطبيعي الذي يجدر بكل تلميذ أن يتخذه هو ان يطلب زيادة ايمانه (لوقا ١٧ : ٥). فهو قد سبق فوضع ثقته في المسيح للخلاص ، والآن صار يسعى ان يمد ثقته في مخلصه الى سائر نواحي الحياة ، ويخضعها لسلطانه وامرته. ففيما هو يواجه المرض ، والتجارب ، والمآسي والأحزان ، يصير يعرف الله بطريقة جديدة اكثر قرباً وأعمق اختباراً ،

وبهذا يتقوى ايمانه . وحينئذ يعرف فيتتبع الرب (هوشع ٦ : ٣) . وكلما زادت معرفته في ان الله أهل للثقة ، تاق الى مزيـد من الثقة فيه لأشياء اعظم .

وحيث ان الايمـان بالخبر ، والخبر بكلمة الله ، فان اقصى امنية للتلميذ ينبغي ان تكون ان يشبع نفسه بالكتـاب المقدس ، فيقرأه ويدرسه ويحفظه، ويلهج فيه نهاراً وليلاً . فهو خارطته ودليله، ومرشده وعزاؤه ، ومصباحه ونوره .

وفي حياة الايمان يوجد دائماً مجال للتقدم . فعندما ندرس عما حققه الايمان ، ندرك اننا اطفـال نلعب على شاطىء محيط لا نهاية له ولا حدود . وقد ذكرت بعض اعمال الايمان الجبـارة في عبرانيين ١١ ، وقد وصلت الى ذروتهـا في الاعداد ٣٢ – ٤٠ «وماذا اقول ايضاً لانه يعوزني الوقت ان أخبرت عن جدعون وباراق وشمشون ويفتاح وداود وصموئيل والأنبياء . الذين بالايمان قهروا ممالك ، صنعوا براً نالوا مواعيد سدوا افواه اسود اطفأوا قوة النار نجوا من حد السيف تقوّوا من ضعف صاروا اشداء في الحرب هزموا جيوش غرباء . اخذت نساء امواتهن بقيامة . وآخرون عذبوا ولم يقبلوا النجاة لكي ينالوا قيامة افضل . وآخرون تجربوا في هزء وجلد ثم في قيود ايضاً وحبس . رجموا نشروا جربوا ماتوا قتلاً بالسيف طـافوا في جلود غنم وجلود معزى معتازين مكروبين مذلين . وهم لم يكن العـالم مستحقاً لهم . تائهين في براري وجبال ومغاير وشقوق الأرض . فهؤلاء كلهم مشهوداً لهم بالايمان لم ينالوا الموعد اذ سبق الله فنظر لنا شيئاً أفضل لكي لا يكملوا بدوننا» .

ونختم هذا الجزء بكلمة قصيرة .لقد ذكرنا فيما سبق ان تلميذ المسيح الذي يسلك بالايمان سيعتبره اهل العالم حالما أو متعصباً ، بل قد يعتبره المسيحيون الآخرون كذلك.لكن من الحسن ان نذكر كلمة س. ه. ماكنتوش في هذا الصدد «ان الايمان الذي يمكّن الانسان من السير مع الله يمكّنه أيضاً ان يضع التقدير الصحيح والتقييم السليم لأفكار الله» .

٧

الصّلاة

ان الكتاب الوحيد الكافي الوافي الذي كتب في موضوع الصلاة في اي عصر من العصور هو الكتاب المقدس . اما كل ما كتب عنها في غير الكتاب المقدس فيترك عندنا الشعور بان هناك اعماقاً لم يصل الكاتب اليها ، واعالي لم يقدر ان يرقى اليها . وليس في مقدورنا، في هذا الكتيب الصغير ان نحسّن او نزيد على ما كتبه الآخرون . بل كل ما نستطيعه هو ان نلخص بعض المبادىء الهامة للصلاة ، لا سيما تلك المبادىء التي تتصل بالتلمذة الحقيقية .

١ – ان افضل صلاة هي التي تصدر عن حاجة داخلية قوية ملحة . وكم اختبرنا جميعاً صدق هذا في حياتنا . فعندما تكون حياتنا هادئة ومستكنة، تكون صلاتنا ضعيفة فاترة. ولكن عندما نجوز في ازمة ، او نواجه ساعة خطر ، او نقاسي مرضاً بالغ الخطورة ، او نجتاز في حزن مرير ، تصبح صلواتنا حارة حيوية ونشيطة. قال احدهم «اذا اراد السهم ان يدخل الى السماء فيجب ان ينطلق من قوس منحن تمام.

الانحناء». فان الشعور بالحاجة الملحة، وبالضعف، وبالضرورة الشديدة، هو المعين الذي يفجّر افضل الصلوات» .

ونحن لسوء الحظ ننفق معظم حياتنا نجاهد ان نحصن انفسنا ضد طوارىء الحياة وضرورياتها القصوى، فنستخدم امهر وسائل العمل، لنوفر لحياتنا كل ما يمكن ان يحميها من الطوارىء التي نتخيلها. وبمجرد المهارة البشرية الصرفة نصل الى درجة من الغنى، ونكدس ما نستطيع من أموال ، حتى لا يكون بنا حاجة الى شيء. ثم نسائل انفسنا بعد ذلك: لماذا نرى صلواتنا منحلّة فاترة ميتة ؟ ولماذا لا تنزل نار من السماء ؟ لو كنا نسلك حقاً بالايمان لا بالعيان ، لحدثت ثورة في حياة صلاتنا وفي صلاة حياتنا .

٢ – من شروط الصلاة الناجحة ان «نتقدم بقلب صادق» (عبرانيين ١٠:٢٢). وهذا معناه انه يجب ان نكون مخلصين وصادقين امام الرب . فيجب ان لا يكون فينا رياء ، ويجب ان لا نسأل الله أبداً شيئاً في مقدورنا نحن ان نفعله ، ان كنا نريد ان نتمم هذا الشرط . مثلاً لا نسأل الله ان يدبر مبلغاً معيناً من المال لمشروع مسيحي ان كان عندنا نحن انفسنا فائض من المال يمكن استخدامه في هذا المشروع. فان الله لا يخدع ولا يسخر منه. وهو لا يجيب صلاة سبق ان اعطانا الجواب عنها ونأبى استخدام ذلك الجواب .

وبنفس هذا الصدد يجب ان لا نصلي الى الله ان يرسل آخرين لأعمال نأبى نحن انفسنا الذهاب للقيام بها. كم من آلاف الصلوات رفعت طالبة اهتداء البعيدين، غير المسيحيين من بوذيين وهندوسيين ومسلمين ووثنيين وغيرهم ! ولو ان جميع اولئك الذين صلوا كانوا يقبلون عن

طيب خاطر ان يستخدمهم الرب في الوصول الى هؤلاء الناس لاستخدمهم المسيح خير استخدام ، وتغير تاريخ الارساليـات المسيحيـة وحمل اطيب النتائج المشجعة .

٣ — ان الصلاة يجب ان تكون ببساطة وايمان اكيد بدون ريب. فمن الممكن جداً ان نشغل انفسنا بالمشكلات اللاهوتية المتعلقة بالصلاة، لكن هذا لا ينفع شيئاً الا ان يبلد حواسنا الروحية . أن يصلي المرء افضل من ان يحل كل الاسرار المتعلقـة بالصلاة . خير لنا ان نترك علماء اللاهوت ينسجون نظرياتهم بشأن الصلاة ، اما نحن فكمؤمنين بسطاء علينا ان نلج ابواب السماء ونقرعها بثقة البنين. قال اغسطينوس: «يغتصب البسطاء السماء، اما نحن فبكل علمنا لا نسمو فوق اللحم والدم» .

٤ — ان أردت ان تحصل على قوة في الصلاة فلا تحجز شيئاً ولا تمنع شيئاً ، بل سلم الكل تمام التسليم للمسيح ، كن له بجملتك. اترك كل شيء واتبع المخلص . ان الصلاة المشفوعة بالتكريس التام ، الذي يتوّجه رباً على الكل ، هي الصلاة التي يحب ان يستجيبها .

٥ — يظهر ان الله يضع اهمية خاصة على الصلاة التي تكلفنا شيئاً. فاولئك الذين يستيقظون مبكراً ينعمون بشركة مع ذلـك الذي في الصبح باكراً جداً قام ومضى الى موضع خـلاء ، واختلى مع ابيه منتظراً توجيهاته لليوم الذي امامه . وكذلك اولئك الذين يرغبون رغبة جدية ان يصرفوا الليل كله في الصـلاة ينعمون بقوة مع الله لا يمكن انكارها . ان الصلاة التي لا تـكلف شيئاً لا تساوي شيئاً فانها من «منتجات» مسيحية رخيصة .

كثيراً ما يربط العهد الجديد بين الصلاة والصوم . فان الامتناع

عن الطعام يمكن ان يكون مساعداً كبيراً في الرياضات والتدريبات الروحية . وهو من الناحية البشرية يسّاعد على الصفاء والتركيز وحدة الذهن . ومن الناحية الالهية يبدو ان الرب يسرّ خصيصاً ان يجيب الصلاة التي فيها نبيّن انها اهم من طعامنا الضروري .

٦ — تجنب الصلاة الأنانية . قال يعقوب الرسول «تطلبون ولستم تأخذون لانكم تطلبون ردياً لكي تنفقوا في لذاتكم» (يعقوب ٤ : ٣). ان الثقل الرئيسي في صلاتنا يجب ان يكون الاهتمام بما للرب . يجب ان نصلي اولاً «ليأت ملكوتك ، لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض» . ثم نصلي بعد ذلك قائلين «خبزنا كفافنا اعطنا اليوم».

٧ — يجب ان نكرم الله بأن نطلب منه طلبات عظيمة لانه اله عظيم . ليكن لنا ايمان ينتظر اشياء عظيمة من الله .

كم أحزنّا الرب بطلباتنا الصغيرة وانتظـاراتنا التافهة . كم قنعنا بانتظارات قليلة، ونتائج حقيرة،واشواق ضعيفة، لا ترقى الى الاعالي السامية ، لدرجة لم تؤثر في الذين حولنا بان الهنـا اله عظيم . اننا لم نمجده في عيون الذين يعرفونه . ذلك لأن حياتنا لم تسترع انتباههم حتى يسألوا عن مصدر القوة التي لنا . مراراً عديدة لم يقل الناس عنا ما قيل عن الرسول بولس «كانوا يمجدون الله فيّ» .

٨ — عندما نصلي يجب ان نتأكد اولاً اننا في طريق ارادة الله. عندئذ نكون واثقين انه يسمع لنا ويعطينا الجواب «وهذه هي الثقة التي لنا عنده انه ان طلبنا شيئاً حسب مشيئته يسمع لنا . وان كنا نعلم انه مهما طلبنا يسمع لنا نعلم ان لنا الطلبات التي طلبناهـا منه» (١ يوحنا ٥ : ١٤، ١٥) .

الصلاة باسم الرب يسوع معناها ان نصلي حسب ارادته. فعندما نصلي حقاً باسمه يكون تماماً كما لو كان المسيح يصلي ويقدم الطلبة الى الله ابيه: «مهما سألتم باسمي فذلك افعله ليتمجد الآب بالابن. ان سألتم شيئاً باسمي فاني افعله» (يوحنا ١٤: ١٣، ١٤). «وفي ذلك اليوم لا تسألونني شيئاً. الحق الحق اقول لكم ان كل ما طلبتم من الآب باسمي يعطيكم. الى الآن لم تطلبوا شيئاً باسمي. اطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملاً» (يوحنا ١٦: ٢٣، ٢٤). «واقول لكم ايضاً ان اتفق اثنان منكم على الأرض في أي شيء يطلبانه فانه يكون لهما من قبل أبي الذي في السموات. لانه حيثما اجتمع اثنان او ثلاثة باسمي فهناك اكون في وسطهم» (متى ١٨: ١٩، ٢٠).

أن نسأل باسمه معناه ان يأخذنا الرب بأيدينا ويقودنا في الصلاة، أو بصورة اخرى انه يركع بجانبنا وتفيض رغباته في قلوبنا. هذا معنى ان نصلي باسمه. فان اسمه هو شخصه، هو طبيعته، وبالتالي فالصلاة باسم المسيح معناها اننا نصلي حسب ارادته المباركة. هل يمكن ان اطلب شراً باسم ابن الله؟ ان صلاتي يجب ان تكون تعبيراً صادقاً عن طبيعته. هل استطيع ان افعل ذلك في الصلاة؟ ان الصلاة يجب ان تظهر فيها نفخة قوة الروح القدس، وفكر المسيح، ورغبات المسيح فينا ولاجلنا. نرجو ان يعلمنا الرب اكثر فاكثر ان نصلي باسمه. نعم يجب ان لا نفكر في ان نختم صلاة بدون ذكر هذه العبارة المباركة «باسم المسيح ربنا المبارك» لكن ذلك لا يكفي فان الصلاة كلها يجب ان تتشبع وتتشرب باسم المسيح المبارك، وان تكون حسب ما تقتضيه طبيعة هذا الاسم.

٩ – ان كان لا بد ان تكون صلواتنا مقتدرة حقاً ، فيجب ان نسوي امورنا مع الله اولاً باول ، واعني بذلك يجب ان نعترف بخطايانا ونتركها حالما نشعر انها دخلت الى حياتنا . «ان راعيت اثماً في داخلي لا يستمع لي الرب» (مزمور ٦٦:١٨) . يجب ان نثبت في المسيح «ان ثبتم فيّ وثبت كلامي فيكم تطلبون ما تريدون فيكون لكم» (يوحنا ١٥:٧) .ان الشخص الذي يثبت في المسيح يمكث بالقرب منه بدرجة انه يمتلىء من معرفة ارادة الرب . انه يستطيع ان يصلي بذهنه واثقاً من الجواب . وهنا تأتينا مرة اخرى الضرورة الملحة ان نطيع وصاياه «ومهما سألنا ننال منه لاننا نحفظ وصاياه ونعمل الاعمال المرضية امامه». ولا بد ان تكون النفس في حالة مرضية امام الله لكي تسمع صلواتنا وتجاب (١ يوحنا ٣:٢٠) .

١٠ – يجب ان لا نكتفي بالصلاة في اوقات معينة محدودة اثناء اليوم ، بل ننمي في انفسنا روح الصلاة ، فننظر الى الرب بلا انقطاع ونحن نمشي في الشارع أو نسوق السيارة أو نشتغل في المكتب او نخدم في البيت . وقد قدم لنا نحميا مثالاً عن هذه الصلاة الدائمة التلقائية (نحميا ٢:٤). فما احسن ان نسكن في ستر العلي بدلاً من ان تكون لنا زيارات متقطعة اليه .

١١ – اخيراً يجب ان تكون صلواتنا محددة . اننا لا نستطيع ان ننتظر اجابات محددة الا اذا صلينا لامور محددة معينة .

ان الصلاة هي امتياز عجيب بها نستطيع –كما قال هدسون تيلر– ان نحرك الانسان بواسطة الله. قال ج.هـ جويت «ما اكبر الخدمات التي في ايدينا والامكانيات التي نملكها لاتيان المعجزات في دائرة الصلاة

العجيبة . فاننـا نستطيع ان نجعل نور الشمس يشرق في الامـاكن الرطبة الباردة، ونستطيع ان نضيء مصباح الرجاء في سجن اليأس، ونستطيع ان نحل السلاسل والقيود من أرجل السجناء ، ونستطيع ان نحمل لمحات وومضات وخواطر عن البيت الى بلد بعيد، ونستطيع ان نحمـل نسمات سماوية منعشة للفاترين روحياً وللضعفـاء ولو كانوا يعملون عبر البحار . هذه بعض معجزات الصلاة» .

وقد اضاف ونهام شهادته فقال « ان الوعظ موهبـة نادرة لكن الصلاة أندر . الوعظ سلاح كالسيف يمكن استخدامه مع القريبين ، لكن لا يمكن ان يصل الى البعيدين . اما الصلاة فمثل بندقية بعيدة المدى ، وتحت ظروف معينة هي اقوى وافعل في الأهداف القريبة والبعيدة على السواء» .

٨

الحرب

لا يستطيع احد ان يقرأ العهد الجديد ، ولو بصورة عرضية ، دون ان يدرك ان برنامج المسيح على الارض يوصف كأنه حرب ونضال. فان المسيحية الحقيقية ابعد ما يكون عن المسيحية العصرية التي هي اشبه ما يكون بتسليات «ارغن المتسولين». وهي في حقيقتها تختلف كل الاختلاف عن عيشة الترف وعن حياة اللذة التي تنتشر بين الناس اليوم ، فانها بالاحرى جهاد الى الموت ، ونضال لا ينقطع ضد قوات الجحيم . ولا يستحق تلميذ ان يكون جديراً بلقبه كملح ما لم يدرك ان المعركة قد نشبت ولا يمكن اخمادها .

ويتحتم في الحرب ان تكون هناك وحدة . فلا وقت للمنازعات والمماحكات الصغيرة والغيرة الحزبية ، والولاء المنقسم ، فكل بيت ينقسم على ذاته لا يقدر ان يثبت . من أجل هذا وجب على جنود المسيح

ان يتحدوا ، والسبيل الى الوحدة هو سبيل التواضع وهذا ما نتعلمه من الاصحاح الثاني من رسالة فيلبي . فمن المستحيل ان يكون هناك نزاع مع انسان متواضع حقاً. ولا بد من اثنين حتى يقوم نزاع. والنزاع أو المخاصمة تأتي من الكبرياء . وحيثما انتفت الكبرياء انتفى النزاع .

ان الحرب تتطلب الزهد والتقشف وحياة التضحية. وفي كل الحروب التي لها اية نتائج حاسمة، لا بد من استخدام نوع من التوزيع بالبطاقات. وهذا خير وقت فيه ينبغي لنا كمسيحيين ان ندرك اننا في حرب ، وان نفقاتنا يجب ان تقل الى الحد الادنى ، حتى يتسنى لنا ان نصنع اكثر ما يكون من مواردنا في جهادنا وحربنا .

وقليلون من استطاعوا ان يروا هذا بجلاء كما رآه تلميذ للمسيح من الشباب المتجددين حديثاً اسمه ر . م . كان هذا الشاب رئيس الصف الأول في مدرسة مسيحية. وفي اثناء رئاسته هالته النفقات التي اعتادوا انفاقها على فرق الصف وعلى الهدايا التي تمنح للصف في بعض المناسبات. ولكن هذا الشاب اذ رأى ان هذه النفقات لا تؤول الى تقدم الانجيل، استقال من وظيفته كرئيس للصف، ووزع على زملائه في يوم استقالته خطاباً هذا نصه :

ايها الزملاء الاعزاء

حيث ان النفقات والهدايا المعتاد توزيعها على فِرَق الصف قد وضعت أمام المجلس ، فقد كان لزاماً عليّ كرئيس للصف ان اتخذ موقفاً مسيحياً ازاء هذه الامور .

اعتقد اننا نجد اعظم فرح لانفسنا في بذل انفسنا ، واموالنا ،

واوقاتنا كلية للمسيح وللآخرين ، فنجد بذلك صدق قوله «من اضاع حياته من أجلي يجدها» .

ان انفاق المال والوقت في أشيـاء لا تنتج منها نتائج مباشرة ، كشهادة لغير المؤمنين ، أو بنيان لأبناء الله ، يبدو للمسيحيين مناقضاً للحقائق المؤلمة التي تؤكد ان ٧٠٠٠ شخص يموتون يومياً من الجوع ، ونحو نصف سكان العالم لم يسمعوا قط عن رجاء الانسان الوحيد .

كم نستطيع ان نعطي لله مجداً أعظم بالمساعدة على نشر الانجيـل بين ٦٠٪ الآخرين من سكان العالم الذين لم يسمعوا قط عن يسوع المسيح، أو بين البيوت الكثيرة من بيوت جيراننا، بدلاً من ان نجتمع معاً في زمرة صغيرة بأنفسنا،ونحن نحصر حفلات تسلياتنا بين زملائنا، وننفق فيها وقتنا ومالنا على ملذاتنا .

وحيث اني اعلم انه توجد حاجات وفرص معينة سانحة يمكن ان تنفق فيها الاموال بحيث تأتي بأعظم مدح لمجد يسوع المسيح، وباكبر خدمة لمساعدة قريبنا هنا وفي الخارج ، فمن المستحيل عليّ ان اسمح بان تنفق اموال الصف على انفسنا بدون مبرر .

فلو كنت واحداً من اولئك الذين هم في اشد حاجةٍ ملحّةٍ — كما اعرف حالة كثيرين منهم - لكنت أرجو ان من لهم الامكانيات على مساعدتي يبذلون كل ما في طاقتهم حتى يهيئوا لي التمتع بالانجيل وان يقدموا لي ما يسد حاجياتي المادية .

«وكما تريدون ان يفعل الناس بكم افعلوا هكذا انتم ايضاً بهم » .

«واما من كان له معيشة العالم ونظر اخاه محتاجاً وأغلق احشاءه فكيف تثبت محبة الله فيه»؟ لذلك فاني بروح المحبـة والصلاة طالباً

ان تروا ان الرب يسوع اعطى كل ما له (٢كورنثوس ٨: ٩) اتشرف بتقديم استقالتي لكم كرئيس لصف سنة ١٩٦٣.   زميلكم
ر.م.

ان الحرب تتطلب الالم. فاذا كان الشباب اليوم يريدون ان يبذلوا حياتهم عن طيب خاطر في سبيـل وطنهم، فكم بالاحرى يجب على المسيحيين ان يكونوا اكثر استعداداً لبذل حياتهم عن طيب خاطر لاجل المسيح ولاجل الانجيل! ان الايمـان الذي لا يكلّـف شيئاً لا يساوي شيئاً. واذا كان الرب يسوع يعني اي شيء لنا مطلقاً فيجب ان يعني كل شيء لنا. فلا يكون عندنا أي اعتبار لأمن شخصي أو مناعة ذاتية تجنبنا الالم وتقف عائقاً لنا عن خدمتنا له.

ان بولس الرسول لما أراد ان يدافع عن رسالته ضد المنتقدين من صغار النفوس لم يشر الى مركزه العائلي ولا الى ثقافته ولا الى امتيازاته العالمية بل اشار بالحري الى آلامه لاجل الرب يسوع المسيح.

«أهم خدام المسيح. اقول كمختل العقل. فانا افضل. في الاتعاب اكثر. في الضربات اوفر. في السجون اكثر. في الميتات مراراً كثيرة. من اليهود خمس مرات قبلت أربعين جلدة الا واحدة. ثلاث مرات ضربت بالعصي. مرة رجمت. ثلاث مرات انكسرت بي السفينة. ليلاً ونهاراً قضيت في العمق. باسفار مراراً كثيرة. باخطار سيول. باخطار لصوص. بأخطار من جنسي. باخطار من الامم. باخطار في المدينة. باخطار في البرية. باخطار في البحر. باخطار من اخوة كذبة. في تعب وكدّ. في اسهار مراراً كثيرة. في جوع وعطش. في أصوام مراراً كثيرة. في برد وعري. عدا ما هو دون ذلك. التراكم عليّ

كل يوم . الاهتمام بجميع الكنائس» (٢ كورنثوس ١١ : ٢٣ — ٢٨) .
وفي مناشدته النبيلة وتحديه السامي لابنه تيموثاوس حضّه قائلاً «فاشترك انت في احتمال المشقات كجندي صالح ليسوع المسيح» . (٢ تيموثاوس ٢ : ٣) .

ان الحرب تتطلب مهارة في استخدام الاسلحة . واسلحة المسيحي هي الصلاة وكلمة الله . فعليه ان يواظب على الصلاة الحارة المؤمنة بلجاجة . فهذه هي الوسيلة الوحيدة التي تستطيع ان تهدم حصون العدو . وعليه ايضاً ان يكون ماهراً بارعاً في استخدام سيف الروح الذي هو كلمة الله . فان العدو يستخدم كل حيلة في استطاعته استخدامها ليسقط ذلك السيف من يده ، فيلقي عليه ظلاً من الشكوك عن وحي الكتاب المقدس ، ويشير اليه بما هنالك من مناقضات مزعومة ، ويغرقه بحجج مناقضة من العلم والفلسفة والتقاليد البشرية ليصده عن الايمان . لكن جندي المسيح يجب ان يقف على قدميه ، راسخاً في أساسه ، مبرهناً على فاعلية سلاحه القاطع ، باستخدامه في وقت مناسب وغير مناسب .

قد تبدو اسلحة المسيحي في حربه غبية وضعيفة في نظر اهل العالم . فان الخطة التي استخدمها يشوع في الانتصار على اريحا تبدو غبية في نظر القادة العسكريين اليوم . وجيش جدعون الصغير يثير كثيراً من الهزء والسخرية . وماذا نقول عن مقلاع داود ، ومنساس البقر في يدي شمجر ، وجيش الله الصغير ممن يحسبهم اهل العالم من الأغبياء على مر العصور ؟ ان الذهن الروحي يعرف ان الله ليس في جانب اكبر المدفعيات ، لكنه بالاحرى يحب ان يأخذ الضعفاء

والفقراء والمزدرى في هذا العالم ليمجد نفسه بواسطتهم .

ان الحرب تتطلب معرفة العدو واستراتيجيته . وهكذا الحال في الحرب المسيحيـة : «فان مصارعتنـا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العـالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية في السماويات» (افسس ٦ : ١٢). ونحن نعلم ان «الشيطان نفسه يغير شكله الى شبه مـلاك نور . فليس عظيماً ان كان خدامه ايضاً يغيرون شكلهم كخدام للبر. الذين نهايتهم تكون حسب اعمالهم. ان الجندي المسيحي المدرب يعرف ان امرّ مقاومة يلاقيهـا لا تأتي من السكير ، أو اللص ، أو الزانية ، بل تأتيـه بالأحرى من خدام الدين المعروفين . ان الذين سمروا مسيح الله على الصليب كانوا القادة الدينيين. والذين اضطهدوا الكنيسة الاولى كانوا القادة الدينيين. وقد لاقى بولس الرسول اشد الهجمات الوحشية على أيدي الذين يعترفون بانهم خدام الله . وهذا ما حدث على مر السنين ، فان خدام الشيطان يغيرون شكلهم الى خدام للبر ، ويتكلمون بلغة الدين ، ويلبسون ثياب الدين ، ويعلمون كأناس تميزهم علامـات التقوى ، لكن قلوبهم ملأى بغضة للمسيح وللانجيل .

ان الحرب تتطلب تركيزاً لا تشتيت فيه ، لانه «ليس احد وهو يتجند يرتبك باعمال الحياة لكي يرضي من جنده» (٢ تيموثاوس٢ : ٤). ان تلميذ المسيح يتعلم ان لا يتساهل مع أي شيء يحول بين نفسه وبين التكريس التام للرب يسوع المسيح . انه يقف جامداً صامداً ، لكن دون ان يعثر ، ويمضي راسخاً ثابتاً ، لكن لا تنقصه اللياقة ولا الآداب . ان له هدفاً واحداً يركز كل حماسه فيـه وحده ، ويستأثر

كل شيء آخر لخدمة هذا الهدف .

ان الحرب تتطلب الشجاعة في مواجهة الخطر . « من اجل ذلك البسوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا ان تقاوموا في اليوم الشرير ، وبعد ان تتمموا كل شيء ان تثبتوا » (افسس ٦:١٣، ١٤). وقد اشير مراراً الى ان سلاح الجندي المسيحي (افسس ٦:١٣ - ١٨) لا يحوي أي شيء يقي ظهر الجندي، لأنه لا مكان للتقهقر والانسحاب. ولماذا الانسحاب ؟ ان كان «في هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذي أحبنا » ، وان كان أي من يقوم علينا ، لا يمكن ان ينجح لأن الله معنا ، وان كان الظفر مؤكَّداً لنا قبل ان نبدأ المعركة، فكيف نفكر في التقهقر والانسحاب ؟ اننا نتقدم الى المعركة ونحن نرنم :

حربنا العظمى تشب — كاللظى الشديد
انما الفـــادي المحب — قائـــد مجيـــد

نعمة الرب العظيمة — ضعفنـــا تعين
كيف نخشى من هزيمة — نصرنا مبـــين

٩

السيادة على العالم

ان الله دعانا للسيادة على العالم . لقد قصد ان نولد رجالاً ونموت أبطالاً . ولم يقصد قط ان نقضي حياتنا سعياً وراء مطامع دنيئة زائلة.

عندما خلق الله الانسان في الأصل ، سلطه على الارض . وقد توّجه بالمجد والكرامة ، واخضع كل شيء تحت قدميه ، وقد وضع هذا الانسان المتوج بالمجد والسلطان قليلاً عن الملائكة .

ولما أخطأ آدم ، فَقَدَ الانسان كثيراً من السلطان الذي أعطاه له الله . وبدلا من ممارسة سلطانه بشكل لا ينازع ، صار يمارسه جزئياً متقطعاً في دائرة غير مؤكدة .

ونرى في الانجيل المعنى الذي به نستطيع ان نستعيد سيادتنا ، وهي سيادة لا تقوم في اخضاع الكلاب الجامحة ، أو الحيات السامة، بل بالأحرى في اتخاذ الامم ميراثاً لنا ، وأقاصي الأرض ملكاً لنا ،

وذلك بالاتيان بهم الى سيادة المسيح وملكه .

وفي الحقيقة ، ان كرامة هذه الدعوة المسيحية ، هي شيء لم يعرفه آدم قط . فنحن كمؤمنين شركاء مع الله في فداء العالم . قال احدهم : «هذه هي مأموريتنا ، ان نمسح الناس ونتوّجهم باسم الرب الى سيادة الحياة، الى السيادة على النفس، الى الخدمة لأجل الملكوت» .

ان مأساة حياة الكثيرين اليوم هي في فشلهم في تقدير دعوتنا العليا . فكم اكتفينا ان ننفق سني حياتنا في الاشياء الثانوية ، وفي الحصول على درجات في الامور الصغيرة. اننا نكتفي ان نزحف بدلاً من ان نحلّق . ونعيش عبيداً بدلاً من ان نعيش ملوكاً . وما أقل الذين لهم رؤيا طلب ممالك للمسيح !

من هؤلاء القلائل جداً كان سبرجن ، فكتب لابنه رسالة قوية يقول فيها :

«اذا اراد الله ان تكون مرسلاً ، فلا اريد ان تموت مليونيراً .

اذا اهلك الله ان تكون مرسلاً ، فلا اريد ان تهبط لتكون ملكاً .

فمن هم كل الملوك ، وكل الرؤساء ، وكل التيجان ، لو اجتمعوا معاً ، بازاء شرف ربح النفوس للمسيح ، لا سيما شرف الذين نالوا امتيازاً خاصاً في البناء لاجل المسيح ، بناء على أساس لم يضعه آخر ، بل أُعطوا ان يكرزوا بانجيل المسيح الى أماكن بعيدة لم يصل اليها أحد من قبل» .

ومن هؤلاء القلائل ايضاً جون موط ، المرسل الشهير ، الذي لما طلب منه الرئيس كولرج ان يكون سفيراً لليابان ، أجاب «يا سيدي

الرئيس، مذ دعاني الله ان أكون سفيراً له صُممت اذناي عن كل دعوة اخرى».

ويحدثنا بلي غراهام عن مَثلٍ ثالث: «لما كانت شركة ستاندارد اويل تبحث عن شخص يمثلها في الشرق الأقصى، وقع اختيارهم على ممثل، فقدموا له عشرة آلاف دولار فرفض، ثم عرضوا عليه خمسة وعشرين الفاً فرفض، ثم عرضوا عليه خمسين الفاً فرفض. فسألوه لماذا؟ أجاب: ان الراتب الذي تقدمونه كبير، لكن العمل صغير جداً. فقد دعاني الله لأن أكون مرسلاً».

ان دعوتنا المسيحية هي أشرف دعوة في الوجود، فاذا أدركنا ذلك ترقى حياتنا الى مستوى جديد، الى مستوى اعلى، فلا نعود نذكر عن انفسنا ان الواحد منا مدعو لأن يكون «مهندساً»، أو «عالم فيزياء» أو «طبيب أسنان» بل «مدعو ان يكون رسولاً» واما هذه الأشياء الاخرى فهي مجرد وسائل للحصول على ضروريات المعيشة.

عند ذلك نرى انفسنا مدعوين أن نكرز بالانجيل للخليقة كلها، وان نتلمذ جميع الأمم، وان نبشر العالم بأسره.

هل تقول انه عمل عظيم جداً؟ نعم عظيم لكنه غير مستحيل. انما السؤال المهم الذي يجابهنا هو: كيف نوصل انجيل المسيح للعالم في عصرنا؟ والجواب على ذلك بسيط، وهو ان الانجيل انما يصل بواسطة رجال ونساء يحبون الله من كل قلوبهم، ويحبون قريبهم كأنفسهم. فلا يمكن ان يتم هذا العمل الكبير المجيد الا بالولاء التام والتكريس الكلي النابع من محبة لا تفنى.

واولئك الذين تحصرهم محبة المسيح لا يستعظمون أية تضحية مهما

بلغت . وهم يقدمون ويفعلون حباً في المسيح ما لا يمكن ان يقدموه، ولا ان يفعلوه في سبيل أي ربح دنيوي . هم لا يحسبون نفوسهم ثمينة عندهم ، بل يُنفِقون ويُنفَقون، حتى لا يهلك اناس بسبب عدم وصول بشارة الانجيل اليهم. وهم يصلون مع جيمس ستيوارت قائلين:

«ايها الرب المصلوب ، امنحني قلباً مثل قلبك، وعلمني ان أحب نفوس الناس المائتة، واحفظ قلبي في أقرب صلة بك، وامنحني مزيداً من المحبة - محبة الجلجثة النقية - حتى آتي بالهالكين اليك» .

ما لم تكن المحبة هي الباعث ، فلا رجاء في نجاح هذه القضية . فكل شيء آخر لا يفيد ، بل تصبح الخدمة نحاساً يطن أو صنجاً يرن . ولكن عندما تصبح المحبة الكوكب الهادي، ويمضي الناس في هذه المهمة مضطرمين بالولاء للمسيح، لا تستطيع قوة على الارض ان توقف زحف الانجيل الكاسح .

صور لنفسك فريقاً من التلاميذ، قد كرسوا نفوسهم بتمامها ليسوع المسيح ، وطافوا يجوبون البر والبحر كارزين بالرسالة المجيدة ، وهم يسعون الى مناطق جديدة بغير ملل ، ويرون في كل شخص يقابلونه نفساً مات المسيح لأجلها، ويريدون ان يصبح كل منهم عابداً المخلص الى الأبد . فأية وسيلة يستخدمها هؤلاء الناس الذين وجهتهم الآخرة في اعلان المسيح وتعريفه للجميع ؟

يقدم العهد الجديد وسيلتين رئيسيتين لتوصيل الانجيل للعالم. الاولى المناداة به علناً ، والثانية التلمذة افراداً .

وقد استخدم المسيح وتلاميذه الوسيلة الاولى باستمرار . فحيثما وُجد اناس مجتمعون رأوا في اجتماعهم فرصة سانحة للكرازة بالانجيل،

وتقديم الأخبار السارة. ولذلك نجد اجتماعات تذاع فيها بشارة الانجيل في الأسواق ، وفي السجون ، وفي الجامع ، وعلى شوطىء البحار والانهار. فان طبيعة الرسالة السامية الملحة لم تجعل احداً يفكر في حصرها في أماكن الاجتماعات الرسمية.

وكانت الطريقة الثانية لنشر الايمان المسيحي هي طريقة تلمذتهم افراداً ، وربحهم واحداً فواحداً. وقد استخدم الرب يسوع هذه الطريقة في تدريب تلاميذه الاثني عشر. فدعا هذا الفريق القليل العدد ليكونوا معه ، وليرسلهم. وظل يعلمهم يوماً بعد يوم، ويثبتهم في حق الله. وكان يضع أمامهم باستمرار العمل الذي عيَّنه لهم ودعاهم للقيام به. وانبأهم بالتفصيل بما سيلاقونه من أخطار وصعوبات. وادخلهم الى اسرار مشيئة الله ، وجعلهم شركاءه في الخطة الالهية المجيدة الصعبة. ثم ارسلهم كحملانٍ في وسط ذئاب. وألبسهم قوة الروح القدس ، فخرجوا الى العالم يخبرونه بالمخلص المقام ، الصاعد الممجد. وتظهر قوة هذه الطريقة من آثارها ونتائجها ، فان فريقاً من التلاميذ نقص عددهم الى احد عشر بعد حذف يهوذا الخائن، قلبوا العالم رأساً على عقب ، واتوا به الى المسيح.

وبولس الرسول لم يمارس هذه الطريقة فقط ، بل حضّ ايضاً تيموثاوس على ممارستها قائلاً له: «وما سمعته مني بشهود كثيرين أودعه اناساً امناء يكونون اكفاء ان يعلّموا آخرين أيضاً» (٢تيموثاوس ٢:٢). فان الخطوة الاولى في نجاح هذه الخطة هي اختيار اناس امناء، وذلك عن طريق الصلاة والتدقيق. والخطوة الثانية هي ايصال الرؤيا المجيدة لهم. والخطوة الثالثة هي ارسالهم ليتلمذوا الآخرين (متى ٢٨:١٩).

وقد تبدو هذه الخطة متعبة سخيفـة غير مجدية ، للذين يتوقون للاعداد الكبيرة ، ويطمحون للجماهير الحاشدة . لكن الله يعرف ما يعمل ، وطريقته هي أفضل الطرق ، فان اعمالاً كثيرة لله يمكن ان تتم عن طريق عدد قليل من التلاميذ المكرسين ، اكثر بكثير مما يتم عن طريق جيش جرار من المتدينين الذين همُّهم ارضاء أنفسهم .

عندما يخرج هؤلاء التلاميـذ في اداء رسالتهم باسم المسيح عليهم ان يتبعوا مبادىء اساسية ذكرت خطوطهـا العريضة في كلمة الله . فعليهم اولاً ان يكونوا حكماء كالحيات وبسطاء كالحمام . وعليهم ان يعتمدوا على حكمة الله في الطريق الصعب الذي يسيرون فيه . وعليهم في نفس الوقت ان يكونوا ودعاء متواضعين في اتصالاتهم مع اخوتهم من بني البشر . ولا ينبغي ان يخاف احد من قوتهم البدنية ، انما كل ما يحتاج الناس ان يخافوه من هؤلاء التلاميذ هو شهادتهم التي لا تنقطع وصلواتهم التي لا تكلّ ولا تمل .

وعلى هؤلاء التلاميذ ان يبتعدوا ويتحرروا من سياسة العالم، فليس لهم ان ينحازوا الى أي جانب من الجوانب . فلا يليق بهم ان يعتبروا أنفسهم مدعوين لمحاربة أي نوع من الحكومة أو أية عقيدة سياسية ، اذ ان في مقدورهم ان يشتغلوا تحت أي نظام من نُظم الحكومة ، وان يكونوا في ولاء لتلك الحكومة الى الدرجة التي فيها لا يساومون في شهادتهم ، ولا ينكرون سيدهم . اما ان جاوز الأمر هذا الحد فعليهم ان يرفضوا الطاعة والخضوع ، متحملين النتائج ، لأنه «ينبغي ان يطاع الله اكثر من الناس» . انما عليهم تحت كل الظروف والأحوال ان لا يتآمروا ضـد الحكومـة البشرية ، وان يكونوا في ولاء دائم

لسيدهم ولملكوته الذي ليس من هذا العالم . ألم يقل المسيح «مملكتي ليست من هذا العالم . لو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خدامي يجاهدون... ولكن الآن ليست مملكتي من هنا». هؤلاء التلاميذ هم سفراء مملكة سماوية ، وهم لذلك يحيون في هذا العالم كغرباء ونزلاء.

هم يعيشون بالأمانة في كل معاملاتهم، ويتجنبون كل نوع من انواع الغش والاحتيال . «نَعمَهُم» نعم و«لاهم» لا . وهم يرفضون النظرية الشائعة ان الغاية تبرر الواسطة ، والتي تبيح الكذب لغاية . فهم لا يسمحون لأنفسهم تحت أي ظرف ان يعملوا الشر لكي يأتي الخير . وكلٌ منهم هو ضمير مجسم يفضّل ان يموت على ان يعمل الخطية .

ومبدأ آخر يتبعه هؤلاء الناس، بطرق متنوعة، وهو ان يربطوا عملهم مع كنيسة محلية . فيذهبون الى حقول العالم المبيضة للحصاد ، ليربحوا نفوساً للرب يسوع ، وانما يربحونها لكي يقودوها الى الشركة مع كنيسة محلية حتى تتقوى وتبنى على الايمان الأقدس . ولا عجب فان تلاميذ المسيح الحقيقيين يدركون ان الكنيسة المحلية هي الوحدة الاساسية التي وضعها المسيح على الارض لنشر الايمان، وبها تبنى أفضل وأثبت الأعمال الخالدة .

وهؤلاء التلاميذ حكماء،يتجنبون التحالف الذي يوقعهم في الفخاخ والاشتباكات، اياً كان نوعه. ويرفضون بشدة ان يسمحوا لأية سلطة بشرية أو نظام بشري ان يملي على حركتهم ما يريد . ويقبلون أوامر السير من رئاستهم في السماء . انما لا يعني هذا انهم يتصرفون بغير ثقة ولا بغير توصية من اخوتهم المسيحيين في الكنيسة المحلية، بل بالعكس ينظرون الى مثل هذه التوصية كاثبات لدعوة الله اياهم للخدمة.لكنهم

يشددون على ضرورة خدمة المسيح بمنتهى الطاعة لكلمته، والاسترشاد به.

واخيراً يتجنب هؤلاء التلاميذ الدعاية والاعلان عن انفسهم. فهم يبذلون جهدهم للبقاء في المؤخرة، مدفوعين بغرض واحد، هو ان يمجدوا المسيح، وان يعرّفوا به الآخرين.

فهم لا يطلبون أشياء عظيمة لأنفسهم ولا يريدون ان يعلنوا خطتهم للعدو. وهم يعملون في هدوء ونشاط وهمة غير عابئين بما يقدمه لهم الناس من مدح أو ذم، عالمين ان السماء هي افضل واضمن مكان لنوال جزاء عملهم.

١٠

التلمذة والزواج

«يوجد خصيان خصوا انفسهم لاجل ملكوت السموات» .

احدى المسائل الرئيسية التي يواجهها كل تلميذ هي : هل دعاه الله الى حياة الزواج ام الى حياة العزوبة ؟ وهذه بالطبع مسألة شخصية بحتة لا يحكم فيها احد على غيره ، انما يتوخى كل فرد تعنيه المسألة ارشاداً خاصاً من الرب . فلا يقدر احد ان يضع في ذلك شريعة على غيره ، والتداخل في موضوع حيوي كهذا حافل بالأخطار الجسيمة .

ان تعليم الكتاب المقدس في هذا الصدد هو ان الزواج فريضة رتبها الله للجنس البشري لأغراض عدة :

١ – انه رُتّب للشركة واللذة ، فان الله قال «ليس جيداً ان يكون آدم وحده». (تكوين ٢ :١٨) .

٢ – انه رُتب لبقاء الجنس البشري. وهذا واضح من قول الرب «اثمروا واكثروا واملأوا الارض» (تكوين ١ :٢٨) .

٣ — انه رُتب لحفظ طهارة المجتمع «لسبب الزنا ليكن لكل واحد امرأته» (١ كورنثوس ٧:٢) .

وليس شيء في كلمة الله يشير الى ان الزواج يتناقض مع حياة الطهارة والولاء والخدمة للمسيح . بل بالحري يذكرنا الكتاب ان الزواج ينبغي ان يكون مكرماً والمضجع غير نجس (عبرانيين١٣ :٤). ويقول الوحي «من يجد زوجة يجد خيراً» (أمثال ١٨ :٢٢). وكلمات الجامعة «اثنان خير من واحد» (جامعة ٤:٩) يمكن ان تطبّق غالباً على الزواج لا سيما اذا كان الاثنان يرتبطان معاً في خدمة الرب. ولعل التأثير الفعال للعمل المشترك الذي يشير اليه سفر التثنية حيث يقول «يطرد واحد الفاً ويهزم اثنان ربوة» (تثنية ٣٢: ٣٠) يصلح خير ما يكون في موضوع الزواج .

ومع ذلك، ولو ان الزواج هو ارادة الله للجنس البشري عموماً، فلا يعني ذلك بالضرورة انه ارادة الله لكل فرد . فمع ان الزواج حق لا نزاع فيه لكل تلميذ للمسيح، فان للتلميذ ان يتنازل باختياره عن هذا الحق لكي يقدم خدمة للمسيح لا هم فيها، ولا مشغولية تشتتها.

ولقد لاحظ الرب يسوع ان ملكوته سيضم اناساً يرغبون بمحض ارادتهم ان يكونوا خصياناً فقال : «يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون امهاتهم . ويوجد خصيان خصاهم الناس . ويوجد خصيان خصوا انفسهم لأجل ملكوت السموات. من استطاع ان يقبل فليقبل» (متى ١٩ :١٢) .

وهذا كما هو واضح عهد شخصي تطوعي يأخذه الشخص على نفسه نتيجة عاملين :

١ – شعوره بان الله يرشده الى عدم الزواج .

٢ – رغبته في ان يبذل نفسه بأكثر ما يمكن في عمل الرب ، بدون ان يعيقه ارتباطه بمسئوليات عائلية .

لا بد اذاً لمن يُقدم على هذا ان يكون لديه اقتناع بدعوة الهية (١ كورنثوس ٧:٧). فبهذا الاقتناع وحده يستطيع التلميذ ان يتأكد ان الرب سيمنحه النعمة التي يحتاج اليها للعفة .

ثانياً : لا بد لمن يقدم على هذا العمل ان يقدم عليه طائعاً مختاراً. فاذا صارت العزوبة الزاماً كنسياً تعرضت الطهارة والخلق لخطر جسيم.

وقد شدد الرسول بولس على ان غير المتزوج ينصرف أكثر لخدمة الرب، فقال: «غير المتزوج يهتم في ما للرب كيف يرضي الرب. وأما المتزوج فيهتم فيما للعالم كيف يرضي امرأته» (١ كورنثوس ٧: ٣٢، ٣٣).

لهذا السبب عبّر الرسول عن رغبته في ان يظل غير المتزوجين والأرامل كما هم ، أي أن يلبثوا غير متزوجين(١ كورنثوس ٧:٧، ٨).

أما الذين سبق لهم ان تزوجوا فيشدد عليهم الرسول أنه بسبب قصر الوقت، يجب ان يجعلوا كل شيء ثانوياً بالنسبة الى العمل العظيم، وهو تقديم المسيح للجميع . وقد قال في هذا الصدد :

«فاقول هذا ايها الاخوة ، الوقت منذ الآن مقصر ، لكي يكون الذين لهم نساء كأن ليس لهم . والذين يبكون كأنهم لا يبكون ، والذين يفرحون كأنهم لا يفرحون، والذين يشترون كأنهم لا يملكون. والذين يستعملون هذا العالم كأنهم لا يستعملونه . لأن هيئة هذا العالم تزول» (١ كورنثوس ٧: ٢٩ – ٣١) .

هذا لا يعني بالطبع ان يتنصل الانسان من مسئولياته العائلية ،

ويترك زوجته وأولاده ، ويذهب كمرسل . لكنه يعني انه يجب ان لا يحيا لاشباع ملذات الحياة البيتية ، ويجب ان لا يتخذ من زوجته وأولاده مبرراً لاعطاء المسيح المكان الثاني في حياته .

كان س.ت. ستد يخاف من ان تنشغل به زوجته بحيث لا يكون للمسيح في حياتها المكانة الاولى .

وقد كتب بولس الرسول «الوقت مقصر» واستطرد يقول « لكي يكون الذين لهم نساء كان ليس لهم ...»

ان المأساة الاليمة هي ان التسرع في الزواج أو الاندفاع اليه دون ارشاد الهي، كثيراً ما كان فخاً استخدمه الشيطان ليجذب به التلميذ الحديث الى ناحية جانبية، ويحرمه من استخدام نفسه اكمل استخدام لسيده . وكم من رواد طموحين افسدوا عملهم بخدمة مجزأة للمسيح، كان تجزؤها وانقسامها على مذبح الزواج .

قال وسلي غوستافسون :

«ان الزواج... عدو لدود لاتمام ارادة المسيح التي تريد ان يسمع جميع الناس عنه . صحيح ان الزواج مرتب من الله ، لكن عندما يصبح عائقاً في سبيل اتمام ارادة الله ، يكون قد اسيء استخدامه. وفي استطاعتنا ان نذكر بالاسم عدداً كبيراً من الناس-رجالاً ونساء- جاءتهم دعوة معينة من الله للخدمة في حقل الانجيل، لكنهم لم يذهبوا الى ذلك الحقل قط ، وذلك لأن شريكهم أو شريكتهم كان العقبة في تحقيق هذه الدعوة . والواجب انه لا ينبغي ان يكون هناك أي شيء، حتى البركة الالهية بشريك أو شريكة الحياة، مانعاً في تحقيق غرض الله لحياة الانسان ... كم من نفوس تموت اليوم بدون مسيح ،

لان الاحباء الاعزاء يأخذون الأولويّة والاسبقية على ارادة الله».

ربما يكون أصدق ان تفضل حياة العزوبة بنوع خاص في العمال الرواد. قال احدهم: «ان الرجال والنساء الذين يتصدون للمقدمة، كطليعة الجيش، عليهم ان ينكروا أنفسهم، حتى من ضروريات الحياة، فضلاً عن متعها ولذاتها الجائزة شرعاً. وواجبهم يقضي عليهم ان يحتملوا المشقات، كجنود صالحين، وان لا يرتبكوا بامور الحياة، وان يطرحوا كل ثقل كأبطال رياضة مدربين.. فعملهم هودعوة، ورسالة، وتكريس لخدمة خاصة».

ولجميع الذين يسمعون هذه الدعوة ويقبلونها، مكافأة موعود بها. قال يسوع لتلاميذه: «الحق اقول لكم... كل من ترك بيوتاً أو اخوة أو اخوات أو أباً أو اماً أو امرأة أو اولاداً أو حقولاً من اجل اسمي يأخذ مئة ضعف ويرث الحياة الابدية» (متى ١٩ : ٢٨ و٢٩).

١١

حساب النفقة

ان الرب يسوع لم يحاول قط ان يملّق الناس الى اتخاذ اعتراف سهل بالايمان . ولم يسع مطلقاً ان يجتذب عدداً كبيراً من الجماهير بتقديم رسالة شعبية جماهيرية . بل نراه في الحقيقة على عكس ذلك، عندما بدأ الناس ان يتجمعوا حوله كجماهير عديـدة ، التفت اليهم وغربلهم، وذلك بان وضع امامهم أقصى شروط التلمذة. وفي احدى هذه المناسبات حذر سامعيه بان كل من يريد ان يتبعه يجب عليه ان يجلس اولاً ويحسب حساب النفقة فقال :

«من منكم وهو يريد ان يبني برجـاً لا يجلس اولاً ويحسب النفقة هل عنده ما يلزم لكماله . لئلا يضع الاساس ولا يقدر ان يكمل . فيبتدىء جميع الناظرين يهزأون به قائلين هذا الانسان ابتدأ يبني ولم يقدر ان يكمل . وأي ملك ان ذهب لمقاتلة ملك آخر في حرب لا يجلس اولاً ويتشاور هل يستطيع ان يلاقي بعشرة آلاف الذي يأتي

عليه بعشرين الفاً . وإلا فما دام ذلك بعيداً يرسل سفارة ويسأل ما هو للصلح» (لوقا ١٤:٢٨–٣٢).

هنا يشبّه المسيح الحياة المسيحية ببناء وبحرب .

فمن الغباوة البالغة ان يبدأ احد ببناء برج ما لم يكن لديه المبالغ والأرصدة الكافية لاكماله والا فان ذلك البرج الناقص يبقى رمزاً لقصر النظر ونقص الحكمة .

ما اصدق هذا في الحيـاة المسيحية ! فمن السهل على الانسان ان يتخذ قراراً بتسليم نفسه للمسيح في حماسة عاطفية مندفعة ، في حملة انتعاشية جماهيرية كبرى . لكن الأمر يختلف كل الاختـلاف عندما يطلب من هذا الانسان ان ينكر نفسه ويحمل صليبه كل يوم ويتبع المسيح . ان صيرورة الانسان مسيحياً لا تكلفه شيئاً ؛ ومع ذلك فما اشد ما تكلفه حياة المطابقة لعقيدته ! فان السير في الحياة المسيحية هو سير في طريق التضحية والاعتزال والالم لاجل المسيح. سهلٌ ان تبدأ السباق المسيحي حسناً،ولكن الامر يختلف كل الاختلاف عندما يكون عليك ان تمارس هذه الحياة وتتابع هذا السباق يوماً بعد يوم، في الطقس الحسن والطقس الرديء،في الشدة والرخاء،في السراء والضراء.

ان العالم يرقبنا بعين ناقدة . وكأنما للعالم غريزة غريبة بها يدرك ان الحياة المسيحية ، اما ان تساوي كل شيء او لا تساوي أي شيء. فعندما يرى العـالم مسيحياً مكرساً بالتمام ، قد يهزأ به ويسخر منه ويتهكم عليه ، ولكنه في داخـله يكنّ احتراماً عميقاً للانسان الذي يسلّم نفسه تماماً للمسيح غير عابىء بما يلاقي. اما عندما يرى مسيحياً فاتراً متردداً لا يحمل له سوى التحقير والازدراء. وتراه يبدأ يهزأ به

قائلاً: «هذا الانسان ابتدأ يبني ولم يقدر ان يكمّل، لقد ابتدأ بمظهر كبير من التهويش والتهريج عندما تجدد لكنه الآن صار كواحد منا. لقد اندفع باقصى سرعة وها هو الآن قد توقف ونكص على عقبيه».

لذلك قال المخلّص: يحسن بك ان تحسب حساب النفقة.

أما المثل الثاني الذي ذكره المسيح فهو عن ملك اراد ان يعلن حرباً على ملك آخر. أفلم يكن من المعقول له ان يجلس اولاً ويرى ان كان ال ١٠٠٠٠ جندي الذين عنده يستطيعون ان يهزموا جيش العدو الذي يبلغ ضعف هذا العدد؟ ما اغبى ان يعلن الحرب اولاً ثم يبتدىء يعد الجيش، عندما يكون الجيشان يسيران نحو التلاحم في الميدان! ان من يفعل هذا لا يبقى له سوى ان يرفع الراية البيضاء ويرسل فريقاً من قبله للتسليم قابلاً بمذلة، وانفه في التراب، كل شروط التسليم التي يمليها عليه خصمه.

وليس ثمة مبالغة في تشبيه الحياة المسيحية بحرب. فهناك اعداء الداء – العالم والجسد والشيطان. هناك مثبطات ومفشلات ودماء تسيل وآلام مريرة. هناك ساعات طويلة متعبة من الجهاد والنضال. وهناك ليالٍ حالكة تنتظر فيها النفس بزوغ النهار. هناك دموع وآلام وامتحانات قاسية. «هناك نمات كل النهار».

فكل من اعتزم ان يتبع المسيح، عليه ان يتذكر جثسيماني، وجباثا، والجلجثة. وعليه ان يحسب حساب النفقة. فاما تسليم تام للمسيح، او استسلام مذل للعدو.

بهذين المثلين حذّر الرب يسوع سامعيه من التسرع في اتخاذ قرارات بشأن التلمذة والانجراف بدافع التحمس العاطفي. ووعدهم صريحاً بانهم

سيلاقون الاضطهاد والضيق والالم، فعليهم ان يحسبوا حساب النفقة.

ترى ما هي النفقة ؟ يجيبنا على ذلك العدد التالي : «فكذلك كل واحد منكم لا يترك جميع امواله لا يقدر ان يكون لي تلميذاً» (لوقا ١٤:٣٣).

النفقة اذاً هي «كل شيء» -كل ما للانسان ، وكل ما في الانسان. هذه هي النفقة التي تكلفها المخلص ، ولا يمكن ان تعني اقل من ذلك بالنسبة لتابعيه . فان كان الغني الذي لا يستقصى غناه قد افتقر طوعاً واختياراً ، فهل ينتظر تلاميذه ان ينالوا الاكليل بنفقة أقل؟ ثم ختم الرب يسوع حديثه بهذه الخلاصة .

الملح جيد . ولكن اذا فسد الملح فبماذا يصلح . لا يصلح لارض ولا لمزبلة فيطرحونه خارجاً .

يبدو ان الملح ، آنذاك ، لم يكن من النقاوة مثل الملح الذي نستعمله اليوم على موائدنا. كان ملحهم مخلوطاً بشوائب كالرمل وغيره. فكان ميسوراً ان يفقد الملح ملوحته فيصبح بلا طعم وبلا فائدة ، ولا يمكن استخدامه كسمادٍ او مخصب للارض ولم يبق له سوى ان يطرح خارجاً تدوسه الأقدام (متى ٥:١٣) .

ومغزى المثل واضح. ان الغرض الرئيسي لوجود المسيحي هو ان يمجد الله بحياة يسكبها بتمامها له. وقد يفقد المسيحي ملوحته بالانصراف الى جمع كنوز على الارض أو بالحري وراء راحته وملذاته او بالسعي للحصول على اسم وصيت له في العالم أو بأفساد حياته ومواهبه باستخدامها في عالم لا يستحقها .

فاذا اخطأ المؤمن الهدف الرئيسي لوجوده فقد اخطأ كل شيء. ومصيره كالملح الذي فقد ملوحته: يداس تحت اقدام الناس متحملاً تعييرهم وازدراءهم وسخريتهم.

وهذه كلمات المسيح الاخيرة:

«من له اذنان للسمع فليسمع»

كان من عادة المسيح ان يختم بهذه العبارة عندما يكون قد نطق بقول صعب، لانه علم انه ليس الجميع يقبلون هذا الكلام. وعرف ان بعض الناس سيحاولون تفسير كلامه بشكل يضيع معناه أو يضعف حدة مطاليبه.

لكنه عرف ايضاً انه توجد قلوب مفتوحة، تخضع لمطاليبه وتستجيب لدعواه مهما كانت الكلفة لانها ترى ان المطاليب المكلفة هي الجديرة به.

من اجل ذلك ترك الباب مفتوحاً قائلاً: «من له اذنان للسمع فليسمع». وهؤلاء الذين يسمعون هم الذين يحسبون حساب النفقة ويتبعونه مصممين مرنمين:

صممت اني اتبع يسوع اتبع يسوع بلا رجوع
ولو تركني كل خلاني اتبع يسوع بلا رجوع
العالم خلفي يسوع امامي اتبع يسوع بلا رجوع

١٢

ظل الاستشهاد

عندما يسلِّم الانسان ذاته ليسوع المسيح تسليماً حقيقياً وكاملاً يبدو أمراً زهيداً له ان كان يحيا أو يموت. ويصبح كل همه ان يتمجد الرب. اذا قرأت حياة جون وبتي ستام تجد فيها نغمة النصرة تتكرر في كل الكتاب، تلك النغمة التي عبّر عنها بولس الرسول بقوله «الآن يتعظم المسيح في جسدي سواء كان بحياة ام بموت» (فيلبي ١:٢٠).

ونفس هذه النغمة تجدها في كتابات جم اليوت، الذي عندما كان طالباً في كلية هويتون، كتب في مفكرته يقول «اني مستعد ان أموت لأجل آكلة لحوم البشر».

وكتب في وقت آخر «ايها الآب، خذ حياتي، بل ايضاً دمي اذا اردت، ولتلتهمه نار محبتك المضطرمة. اني لا اريد ان استبقيه لانه ليس ملكي فأستبقيه. خذه يا رب، خذه كله، واسكب حياتي

كلها سكيباً لاجل العالم، فلا قيمة للدم الا عندما يسكب على مذبحك».

يبدو ان كثيرين من أبطال الله وصلوا الى هذه الحالة عينها مع الله، اذ ادركوا انه ان لم تقع حبة الحنطة في الارض وتمت فهي تبقى وحدها. ولكن ان ماتت تأتي بثمر كثير» (يوحنا ١٢: ٢٤). لقد كانوا يرغبون ان يكونوا هم حبة الحنطة.

وهذا هو الموقف عينه الذي اراد المسيح ان يعلمه لتلاميذه عندما قال لهم «فان من اراد ان يخلص نفسه يهلكها ومن يهلك نفسه من اجلي فهذا يخلصها» (لوقا ٩: ٢٤). ونحن كلما زاد تفكيرنا في ذلك بدا لنا أكثر معقولية ويتضح ذلك مما يأتي :

اولاً : ان حياتنا ليست ملكاً لنا بأي حال من الاحوال. انها ملك لذاك الذي قدّرها فدفع ثمنها دمه الكريم. فهل نتعلق بما لغيرنا لا لشيء سوى بدافع انانيتنا وحب ذواتنا؟ لقد أجاب على هذا السؤال س. ت. ستد فقال :

«لقد عرفت شيئاً عن موت يسوع لاجلي، لكني لم أفهم انه ان كان قد مات لاجلي، فلم اعد ملك نفسي. فان الفداء معناه الشراء، ولهذا فان كنت قد صرت له بحق الفداء أو الشراء، فلا يمكن ان أفعل الا امراً من اثنين، اما ان اكون لصاً واحتفظ بما ليس لي، او ان اكون اميناً فاقدم كل شيء لله. فلما اصبحت ارى ان المسيح مات لاجلي، لم يصعب علي ان اقدم الكل له».

ثانياً : سنموت كلنا على أي حال، في وقت ما، ان ابطأ الرب في مجيئه الثاني. فهل تكون مأساتنا أفظع اذا متنا في خدمة ملك الملوك، ام اذا متنا مجرد موت عادي طارىء؟ هل كان جيم اليوت

على صواب عندما قال: «ليس غبياً من يقدم ما لا يستطيع ان يحتفظ به ليربح ما لا يمكن ان يفقده».

ثالثاً: انه من المعقول جداً انه ان كان الرب يسوع قد مات لاجلنا، فان اقل ما يمكن ان نفعله هو ان نموت لاجله. ان كان العبد ليس اعظم من سيده، فاي حق لنا ان نذهب الى السماء اكثر راحة مما فعل سيدنا واكثر متعة منه؟ هذا هو الاعتبار الذي جعل ستد يقول «ان كان يسوع المسيح – وهو الله – قد مات لاجلي، فليس من تضحية يحق لي ان ابخل بها عليه.

رابعاً واخيراً: من الاجرام ان نحتفظ بحياتنا في حين لو بذلناها طوعاً بدون تحفظ لفاضت بركات ابدية الى اخوتنا في البشرية. كم جاد الناس بحياتهم في سبيل بحث طبي! وكم جاد آخرون بها لينقذوا اعزاءهم من بيت مشتعل بالنار. وما زال يجود كثيرون بحياتهم في معارك حامية الوطيس لانقاذ وطنهم من قوات الاعداء. فما هي اذاً قيمة حياة الناس في نظرنا؟ هل نستطيع ان نقول مع ف.و.ه.مايرز:

«اني ارى النفوس من بعيد مقيدة بالاغلال، بينما كان لها ان تظفر وتنتصر. ارى الناس عبيداً وكان يجب ان يكونوا ملوكاً، اراهم يشاركون بعضهم بعضاً في امل زائل مكتفين بمظهر الاشياء دون جوهرها.

فاندلعت في صدري نيران من الشوق، وانطلق صوت من اعماق نفسي كأنه بوق يناديني ويهيب بي لكي اتقدم لانقاذهم حتى ولو تعرّضت في سبيل ذلك للموت!

ليس مطلوباً من الجميع ان يموتوا شهداء. ان الاستشهاد، بالحراب او بالمقصلة او سواها ، هو من نصيب الفئة القليلة المختارة . ولكن ، كل منا يجب ان يحمل بين جوانحه روح الشهيد وغيرة الشهيد وولاء الشهيد . وكل منا يجب ان يحيا حياة اولئك الذين سكبوا حياتهم على مذبح الاستشهاد في سبيل المسيح !

١٣

مكافآت التلمذة الحقيقية

ان الحياة التي تسلّم بتمامها للرب يسوع لها مكافآتها الجزيلة . ثمة فرح وبهجة في اتباع المسيح ! هذه هي الحياة في اشد واكمل وأصح معناها .

قال المخلص مراراً وتكراراً «من اضاع حياته من اجلي يجدها» . ونلاحظ ما لهذا القول من الأهمية الكبرى في ان البشيرين الاربعة قد دوّنوه في بشائرهم (انظر متى ١٠ : ٣٩؛ ١٦ : ٢٥؛ مرقس ٨ : ٣٥؛ لوقا ٩ : ١٤؛ ١٧ : ٣٣ ؛ يوحنا ١٢ : ٢٥) ترى لماذا تكرر هذا القول بهذه الكثرة ؟ أليس لانه يقدم مبدأ من اعظم المبادىء الاساسية في الحياة المسيحية ، الا وهو ان النفس التي يحتفظ بها الانسان لذاته يفقدها ، اما الحياة التي يسكبها الانسان لاجل المسيح ، فهي الحياة التي يجدها ، ويخلصها ، ويتمتع بها ، ويحفظها الى حياة ابدية ؟

بئست الحياة المسيحيـة اذا كانت فاترة مجزّأة ! أجمِلْ بالحيـاة المكرسة تماماً للمسيح فهى اضمن سبيل للتمتع بافضل ما يعطيه المسيح.

ان التلميذ الحقيقي للمسيح هو الدي يعتبر نفسه عبداً له ، ويجد في خدمته الحرية الكاملة . فهنـاك حرية حقة للنفس التي تقدر أن تقول : «اني احسب سيدي . ولا اريد ان اخرج حراً» .

ان التلميذ لا يثقل نفسه بالاشيـاء الصغرى التافهـة ولا بالامور الزائلة العابرة، بل يهتم بالامور الابدية. ويغتبط كما كان يفعل هدسون تيلر ، في ان ليس له الا امور قليلة يهتم بها !

قد يكون التلميذ مجهولاً لكنه في الحقيقة معروف جيد المعرفة . ومع انه يموت باستمرار لكنه يحيا فعلاً باستمرار ! قد يكون مؤدباً لكنه غير مقتول . في حزنه يفرح ، وفي فقره يُغني كثيرين . كأن لا شيء له وهو يملك كل شيء (٢ كورنثوس ٦:٩،١٠) .

فاذا كان يمكن ان يقال ان حياة التلمذة الحقة هي اعظم حيـاة روحية مشبعة في هذا العـالم ، فيمكن ان يقال ايضـاً بنفس اليقين ان لها اكبر مكافأة في الدهر الآتي «فان ابن الانسان سوف يأتي في مجد ابيـه مع ملائكته وحينئذ يجـازي كل واحد حسب عمله» . (متى ١٦:٢٧) .

وبالتالي،فأن الانسان السعيد حقاً–السعيد في هذه الحياة وفي الحياة الابدية . هو الانسان الذي يستطيع ان يقول مع بوردن أقاييل «ايها الرب يسوع اني اخلي يديّ تماماً عن حياتي لتكون كلها تحت تصرفك. اني اتوّجك على عرش قلبي، فغيّرني، وطهرني،واستخدمني كما تشاء».

الرقم الخاص :
تاريخ الورود :

هذا الكتاب ...

محاولة لبسط بعض المبادىء التي وضعها العهد الجديد للتلمذة .

يظن البعض منا ان هذه المبادىء بلغت حداً من السمو المتطرف بحيث لا يمكن تطبيقها عملياً في هذا العصر المعقد الذي نعيش فيه ، وبالتالي سلموا واستسلموا في مجاراة روح البيئة التي يعيشون فيها .

ثم التقوا بعدد من الشباب المؤمنين الذين صمموا ان يظهروا في حياتهم ان شروط المخلص للتلمذة ليست شروطاً عملية سامية فقط بل هي الشروط الوحيدة التي ينتج عنها تبشير العالم .

« ان لم تقع حبة الحنطة في الارض وتمت فهي تبقى وحدها . ولكن ان ماتت تأتي بثمر كثير » .

الثمن ٧٥ غ.ل.
١٠٠ غ.س.